غابة الحور

محمود سالم

غابة الحور

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

غابة الحور

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٦٥٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
المغامرة ... تبدأ برسالةٍ شفوية!	١١
ممنوع التصوير ... في غابة الحور!	١٧
أحمد يقول: التفاحة قد نضجت!	٢٣
فجأة ... حدث ما لم يكن يتوقَّعه!	٢٩
الصراع معهم ... بطريقةٍ علمية!	٣٥
الخطأ الذي وقعت فيه العصابة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

المغامرة ... تبدأ برسالةٍ شفوية!

انتهى «أحمد» من مغامرة «مزارع العنب»، فودَّع الشياطين الذين اشتركوا معه فيها، حيث يأخذون طريق العودة إلى «المقر السري»، في نفس الوقت الذي يتجه فيه «أحمد» إلى روما، لينضم إلى فريقٍ آخَر من الشياطين، في مغامرةٍ جديدة هي مغامرة «الطائرة المخطوفة». كانت الطائرة المخطوفة، هي تلك الطائرة التي استقلَّها الشياطين في مغامرة «رجل المستقبل»، وعندما طاردتهم العصابة في الجو، اضطروا إلى النزول بالمظلات قرب الشاطئ الفرنسي، وتركوا «كابتن ن»، قائد الطائرة ومَن معه من الملَّاحين، غير أن رسالةً وصلته من رقم «صفر»، تقول إن العصابة قد استطاعت خطف الطائرة، وإن عليه أن ينتهي من مغامرة «مزارع العنب» لينضم إلى مجموعة شياطين «الطائرة المخطوفة»، إلا أن رحلته لم تكتمل؛ ففي الطريق تلقَّى رسالةً جديدة من رقم «صفر» تقول: «انتهت مغامرة الطائرة المخطوفة بنجاح، وحقَّق الشياطين انتصارًا رائعًا كالعادة، اتجِه إلى «برن» للقاء مجموعة الشياطين هناك، انتظر رسالة أخرى!»

غيَّر «أحمد» طريقه إلى مدينة «برن» في سويسرا، كان «أحمد» يعرف أن مجموعة الشياطين التي حقَّقَت مغامرة «الطائرة المخطوفة» تضم: «مصباح»، «بو عمير»، «قيس»، «رشيد»، «زبيدة»، وكان يعرف أن هناك بعض الوقت، ما دامت مجموعة الشياطين سوف تطير من «روما» إلى «برن»، وقال في نفسه: لعلها إحدى جرائم السطو على البنوك، فسويسرا مشهورة بأنها بلد المال، حيث يضع أثرياء العالم ثرواتهم في بنوكها. استغرق في استعراض أحداث المغامرتَين السابقتَين، اللتين تُعتبران مغامرة واحدة طويلة، استطاع الشياطين خلالهما أن ينقذوا العالِم دكتور «بالم»، واختراعه المذهل، وأن ينتصروا على واحدةٍ من أكبر عصابات العالم، في نفس الوقت الذي حقَّقَت فيه مجموعةٌ أخرى من

الشياطين انتصارًا آخَر على نفس العصابة، عندما أنقذت «الطائرة المخطوفة»، وهي إحدى طائرات الشياطين المُجهَّزة بطريقةٍ خاصة، يندر أن يكون لها مثيل في طائرات العالم كله، بما فيها طائرات التجسُّس. كان «أحمد» يركب قطار الشرق السريع، الذي يقطع أوروبا كلها، وقد اختار القطار للسفر، حتى يُعطي لنفسه فرصةً للراحة بعد أحداث المغامرتَين السابقتَين، في نفس الوقت يُعطي فرصةً لمجموعة الشياطين أن يصلوا إلى «برن»، فقد كان أقرب منهم إليها. قفز في رأسه سؤال: هل يحمل الشياطين رسالةً خاصة من رقم «صفر» تحدِّد لهم المغامرة الجديدة، أو أن أحد الشياطين سوف يطير من المقر السري، حيث يلقاهم في «برن»، ليحمل لهم تفاصيل المغامرة؟! أخذ يقلِّب الأسئلة في ذهنه دون أن يصل إلى جواب، لكنه في النهاية قال لنفسه: لعل عميل رقم «صفر» لديه كل التفاصيل!

ألقى نظرةً على الحقول الممتدة أمامه بلا نهاية. كان اللون الأخضر يغطِّي كل شيء، فيبدو المنظر مُريحًا للعين والنفس معًا، نظرَ في ساعة يده فعرف أنه قد اقترب من دخول الحدود السويسرية، وبعدها يكون في الطريق إلى «برن»، التي تقترب من الحدود الجنوبية لسويسرا، ولم تنقضِ نصفُ ساعة حتى كان القطار يقف عند نقطة الحدود لتتم كل الإجراءات، ثم ينطلق القطار مرةً أخرى داخل الأراضي السويسرية، يقطع أوروبا كلها من البداية للنهاية، كان اهتزاز القطار رتيبًا يحض على النوم؛ ولذلك، فقد ترك نفسه لهذه الرغبة، فاستغرق في النوم فعلًا، ولم يستيقظ إلا على صوت عجلات القطار، وهي تصدر صوتًا مرتفعًا، وتهزه هزةً قوية، فتح عينَيه ونظر من النافذة، فعرف أنه قد وصل مدينة «برن». نظر حوله، فلم يجد أحدًا ممَّن كانوا في العربة، فابتسم وهو يتحرك بسرعةٍ ويقول لنفسه: كان يمكن أن أستمر في النوم لولا عجلات القطار، إننا هنا في عالم لا يسأل فيه أحد، ولا يريد أن يعرف، إلى أين أنت ذاهب، حتى لو كنت ذاهبًا إلى الجحيم!

أسرع يقطع العربة في اتجاه الباب، ثم يقفز ليصبح على رصيف المحطة، وقف ينظر حوله، وتمنَّى في هذه اللحظة أن يكون الشياطين معه، فقد شعر بالوحدة وسط زحام الناس، قال في نفسه: إن الجماعة مسألةٌ ضرورية للإنسان، فالإنسان وحده لا يستطيع أن يواصل رحلة؛ لأنها ستكون شاقة. أخذ طريقه إلى الخارج، ثم وقف على الرصيف، يرقب حركة الشارع في هذا الوقت المتأخِّر من النهار. كانت أضواء النهار تنسحب من الوجود في هدوء، فيتلوَّن الجو بلونٍ رمادي رقيق، بينما كانت برودة محبَّبة تلذع وجهه، فيشعر بكثيرٍ من النشاط بعد ذلك النوم الطويل الذي نامه في القطار. سأل نفسه: أين الشياطين الآن في هذه المدينة الكبيرة؟ في أي فندق أو بنسيون؟ فكَّر قليلًا ثم قال: لعلَّ مكالمة تليفونية

إلى عميل رقم «صفر» يمكن أن تجيب عن السؤال. نظر حوله يبحث عن تليفونٍ عموميٍّ، لكنه فجأةً ابتسم، مدَّ يده إلى جيبه الداخلي يتحسَّس شيئًا ما ... اتسعت ابتسامته، وعندما أخرج يده من جيبه كان قد ألغى فكرة الاتصال بالعميل رقم «صفر»، وفي نفس الوقت، كان قد عرف، أين يوجد الشياطين الآن!

لقد استقبل جهاز الاستقبال رسالةً من الشياطين، كانت الرسالة تقول: نحن في فندق «جوته»! اتجه إلى داخل المحطة حيث توجد خريطة كبيرة للمدينة، وقفَ أمامها وأخذ يحدِّد مكان الفندق، عرف أن فندق «جوته» ليس بعيدًا، وأنه يستطيع أن يستمتع الآن بالسير في هذا الوقت الطيب، فالفندق يقع على مسيرة عشر دقائق فقط من المحطة. في نشاطٍ اتجه إلى الخارج، ثم أخذ طريقه في اتجاه الفندق، كانت الشوارع نصف مزدحمة، فكثيرون قد عادوا إلى بيوتهم، والآخَرون في الطريق إليها، فاليوم منتصف الأسبوع، وكعادة الأوربيين، يعملون بجدٍ ونشاط طوال أيام الأسبوع، ثم يستمتعون بإجازتهم في يومَي السبت والأحد، قال في نفسه: ليتنا نستطيع أن نفعل ذلك، أن نعمل جيدًا طوال أيام الأسبوع، وأن نقضي إجازة نهاية الأسبوع بطريقةٍ جيدة أيضًا!

مضت الدقائق، ومن بعيدٍ ظهر بناءٌ قديم، جعل «أحمد» يبتسم، فقد كان البناء هو نفسه فندق «جوته». وفي مكتب الاستعلامات سأل عن الشياطين، فعرف أنهم ينزلون في الطابق الأول، في حجرات ١ و٣ و٥. لم يتجه إلى المصعد، إنما أخذ طريقه إلى السلم الرخامي الناصع البياض، وفي خطواتٍ رشيقة، قفز السلالم إلى حيث يوجد الطابق الأول، وقف عند نهاية الدرجات يحدِّد أماكن الحجرات، كانت كلها على يمينه بشكلٍ متتابع، تقدَّم حتى الحجرة رقم ١، ثم طرق الباب بطريقةٍ غريبة، دقَّة، ثم دقَّتَين، ثم دقَّة أخرى. لم تكن هذه طريقة الشياطين، لكنه أراد أن يجعلها مفاجأة لهم. في نفس الوقت، وضع يده على «العين السحرية» الموجودة في منتصف الباب، حتى لا يكتشفوا وجوده، لم يُفتح الباب مباشرةً، فقد مرَّت دقيقتان، ثم فجأةً فُتح الباب بطريقةٍ حادة، نظر لَمن فتح الباب، ثم غرق في الضحك، لقد كان «مصباح» هو الذي فتح الباب، تعانَقَ الشياطين في حرارة، ثم جلسوا في حوار.

لم تكن رسالة رقم «صفر» قد وصلت إليهم؛ ولذلك دار الحديث عن مغامرة «الطائرة المخطوفة»، كان الشياطين يتبادلون وصف المغامرة، و«أحمد» يستمع إليهم، سعيدًا بالنجاح الذي حقَّقوه، فقد كانت مغامرةً مثيرة؛ فقد أرادت العصابة فك الطائرة وما فيها من معداتٍ نادرة، في نفس الوقت، كانت الحراسة حولها شديدة، بينما كان «كابتن ن»

قائدها ومَن معه من بحَّارة، يقبعون في مغارات العصابة، التي تقع في مكانٍ قريب، وكانوا يتعرَّضون لأقسى ألوان التعذيب، حتى يبوحوا بما لديهم من معلوماتٍ، لكن أحدًا منهم لم ينطق، ومع ذلك استطاع الشياطين أن ينتصروا انتصارًا مذهلًا، فيخطفوا الكابتن ورجاله، ويهربوا بنفس الطائرة أيضًا.

في النهاية قال «رشيد»: لقد كانت «زبيدة» رائعة؛ فهي التي استطاعت أن تنفِّذ خطة خطف طاقم الطائرة.

ثم قام الشياطين بدورهم على أتم وجه ... وعندما انتهى الشياطين من الحديث عن مغامرة الطائرة المخطوفة، سأل «قيس» عن تفاصيل مغامرتَي «رجل المستقبل» و«مزارع العنب»، أخذ «أحمد» يحكي لهم بالتفصيل بداية المغامرة الأولى، وعندما وصل في الحديث إلى لحظة اللقاء مع «بالم ١» و«بالم ٢» دقَّ جرس التليفون القريب من «زبيدة»، سكت «أحمد»، ورفعت «زبيدة» السماعة، ثم بدأت تسمع، ظهر الاهتمام على وجهها، حتى إن ذلك جذب اهتمام الشياطين، وعندما وضعت السماعة دون أن ترد، سألها «أحمد»: ماذا هناك؟!

قالت «زبيدة»: لقد وصلت رسالة رقم «صفر»، إن المتحدث هو عميله في «سويسرا»، والرسالة عبارة عن تقريرٍ طويل، سوف يصل إلينا خلال ربع ساعة!

بالرغم من أن الشياطين كانوا ينتظرون التقرير بفارغ الصبر، إلا أنهم أيضًا كانوا يريدون سماع بقية تفاصيل مغامرة «رجل المستقبل»، غير أن «أحمد» قال: سوف نجد الوقت لنعود إلى الحديث مرةً أخرى، عندما ننتهي من مغامرتنا الجديدة، إن المغامرة تجعلني في حالةٍ لا أستطيع معها الحديث عن شيءٍ غيرها ... صمت لحظةً ثم قال: إن هناك سؤالين يفرضان نفسَيْهما على ذهني منذ أن وصلتني رسالة رقم «صفر» وحتى هذه اللحظة. السؤال هو: هل تقع المغامرة في «برن» نفسها؟ وإذا كانت جريمة من جرائم المال، فلماذا لم تقع في «جنيف» حيث البنوك الكبيرة؟!

قال «بو عمير»: ولماذا تظن أنها جريمة مال؟ لماذا لا تكون شيئًا آخَر؟

كان «أحمد» قد طرح السؤال حتى يبتعد عن تفاصيل المغامرات السابقة، فقد كانت المغامرة الجديدة تشغل باله كثيرًا، بجوار أنه كان يريد أن يستعد نفسيًّا للمغامرة الجديدة، قال «أحمد»: قد يكون هذا صحيحًا، فالجريمة لا تحتاج إلى مكانٍ معيَّن، إنها تقع في أي مكان في العالم، وإن كانت بعض الأمكنة تفرض لونًا معيَّنًا من الجرائم! مرَّت لحظات صامتة ثم قال «مصباح»: لعلها مغامرة لم تخطر لنا ببالٍ، فنحن في عصرٍ يشهد جديدًا كلَّ يوم!

قالت «زبيدة»: هذا صحيح!

فجأةً؛ دقَّ جرس التليفون، رفعت «زبيدة» السماعة لمدة دقيقةٍ واحدة، ثم وضعتها وقالت: الرسالة ستكون أمام الفندق بعد دقيقة واحدة!

بسرعةٍ، كان «قيس» قد قفز في اتجاه الباب، ثم اختفى. قال «أحمد»: لا بد أن عميل رقم «صفر» قد حضر لتسليمها لنا! مرَّت دقائق سريعة، ثم فتح الباب، وظهر «قيس» كان يحمل مظروفًا أبيض اللون، عليه لغة لا يفهمها سوى الشياطين، كانت اللغة عبارة عن أرقامٍ متجاورة، ففهم الشياطين أن الرسالة قد أُرسِلَت بطريقة الشفرة السرية، التي لا يعرفها أحدٌ، حتى عملاء رقم «صفر»، فهي شفرةٌ خاصة بين رقم «صفر» والشياطين، وهي تتغيَّر كلَّ فترة، كلما احتاج الأمر تغييرها، قدَّم «قيس» المظروف إلى «أحمد» الذي قرأ عليه هذه الأرقام: «١ – ٢٣ – ٢٨» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٨ – ١ – ١٦ – ٢٨ – ٢٥» وقفة «٢٦ – ١ – ٢٤» وقفة «٢٧» وقفة «١٢ – ١٠ – ٢٨» وقفة «٢٣ – ٢٣ – ١٩ – ١ – ٢٨ – ٢٦» وقفة «٢٣ – ١» وقفة «٢٨ – ٣ – ٦» وقفة «١ – ٢٣ – ١» وقفة «٢٤ – ٢٨» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٤ – ٥ – ٢٤ – ٢٧ – ١٨ – ٢٦»، ترجم «أحمد» هذه الأرقام تبعًا للشفرة السرية فكانت: إلى الشياطين، هام وسري للغاية، لا يُفتح إلا مع المجموعة.

فتح المظروف، كانت هناك عشر ورقات فولوسكاب تغطِّيها الأرقام، وكان هذا يعني أن الرسالة طويلة، وأنه ينبغي أن تُترجم بسرعة، وحتى لا تستغرق وقتًا، فقد أعطى لكل واحدٍ من الشياطين ورقة، ليبدأ في ترجمتها، ثم في النهاية، يجتمعون لقراءة الرسالة مكتملة، انهمك الشياطين في ترجمة الرسالة، وحتى يعرف «أحمد» مضمون الرسالة بسرعة، فقد أخذ الورقات الثلاث الأخيرة ليترجمها هو، وأعطى «لقيس» ورقتَين، وأعطى «بو عمير» ورقتَين، وأعطى الباقي للشياطين، كل منهم ورقة واحدة، وبينما كان مستغرقًا في الترجمة، كانت عيناه تمُرَّان على وجوه الشياطين، ليرى مدى تأثير التفاصيل عليها، لم تمضِ عدة دقائق، حتى كانت الدهشة تغطي وجوه الشياطين، حتى إن «قيس» قال دون أن يرفع عينَيه عن الورقة التي أمامه: إنها رسالة مرتبطة بالتجسُّس. بعد لحظاتٍ أخرى قالت «زبيدة»: نعم، معلوماتٌ تباع. إلا أن ذلك لم يجعل «أحمد» ينفصل عن الأوراق التي أمامه، فقد استغرق فيها، بعد أن رأى تأثيرها على الشياطين، فجأةً؛ هتف «رشيد»: إنها مغامرة جديدة تمامًا ... لكن أحدًا لم يلتفت إليه، كانت التفاصيل مثيرة جدًّا، إلى درجة أنها جذبت كلًّا منهم، كانت عينا «أحمد» تجري على الأرقام، في نفس الوقت الذي كانت يده تكتب ترجمتها، فجأةً؛ توقَّفَ وشرد قليلًا، كان يقول لنفسه: الآن فهمت، لماذا مدينة

«برن» بالذات ... ثم استغرق في الترجمة، كان الصمت قد لفَّ كلَّ شيء، ولم يكن يسمع سوى صوت صرير الأقلام على الورق. مضت نصف ساعة، ثم قالت «زبيدة»: لقد انتهيت، إننا أمام لغز!

وقال «بو عمير»: إنها مسألة مثيرة فعلًا!

وقال «مصباح»: نحن ندخل مغامرةً يقف العلم فيها موقفًا غريبًا!

وضع «أحمد» قلمه بجوار الأقلام، ونظر إلى الشياطين، كانوا قد انتهوا جميعًا من الترجمة، وبدأ كلٌّ منهم يقدِّم له ورقته، أخذ يرتِّب الأوراق حسب أرقامها، وعندما اكتملت، نظر الشياطين إلى «أحمد» في تركيزٍ واهتمام، فهم الآن سوف يستمعون إلى تفاصيل المغامرة التي سوف يقومون بها.

ممنوع التصوير ... في غابة الحور!

قرأ «أحمد»: «هناك عصابة تبيع المعلومات، ففي الفترة الأخيرة ضجَّت دول كثيرة بالشكوى، فهي تُعلن أن أخبارها السرية الاقتصادية والعسكرية، تنتقل عن طريق جهةٍ غير معلومة إلى دولٍ أخرى، وتركَّزَت الشكوى في دولٍ تقترب حدودها من بعض، هذه الدول هي: النمسا، تشيكوسلوفاكيا، ألمانيا الشرقية، ألمانيا الغربية، بلجيكا، فرنسا، سويسرا، إيطاليا، هولندا. ورغم أن محاولاتٍ كثيرة جرت للكشف عن هذه الجهة المجهولة، إلا أن المحاولات لم تصل إلى نتيجة. لقد عقدت هذه الدول معاهدة بحث فيما بينها، لكشف هذه الجهة التي تنقل أخبارها السرية، بما فيها الشفرات، إلى دولةٍ معادية، لكنها حتى الآن لم تحقِّق شيئًا، والمعروف أن الأقمار الصناعية التي تدور في الفضاء تقوم بجزءٍ من هذه العملية، لكنها في النهاية لا ترصد كلَّ شيء، إن الأقمار الصناعية تلعب لعبة التجسُّس، لكن ذلك يتحدَّد لصالح دولتَين بالذات، هما أمريكا وروسيا؛ ذلك لأن الأقمار الصناعية تحتاج إلى ميزانياتٍ ضخمة، لا تقدر عليها سوى هاتين الدولتَين، وهما لا يمكن أن تتاجرا في المعلومات؛ لأنهما تحتفظان لنفسيهما بها، يبقى أن تكون هناك جهة أخرى غيرهما، هي التي تلعب هذه اللعبة. لقد قام جهاز البحث في المقر السري، بإجراء دراسة حول المكان الذي يصلح لقيام هذا النشاط، فتحدَّدَت مدينة «برن» بالذات؛ لأنها تكاد تتوسط هذه المجموعة من الدول، بجوار أن سويسرا بلد مفتوح لأنها دولة محايدة، ورغم أننا أرسلنا هذا البحث إلى هذه الدول، ورغم أنها قامت بعملية بحث كاملة في مدينة «برن»، إلا أنها أيضًا فشلت في النهاية في تحقيق أي شيء، أنتم تعرفون أن أسرار الدولة، تعني كيانها كله، وعندما تكون هناك دولة بلا أسرار، فهذا يعني، أنها دولة يسهل القضاء عليها في أي لحظة، ولا تنسوا أن دولًا مثل فرنسا وإيطاليا وتشيكوسلوفاكيا لديها قوات عسكرية ضخمة، بجوار أنها دول متقدِّمة في صناعة السلاح، وأن تنتقل أسرارها خارجها، فهذا يعني أنها مُهدَّدة بالنهاية،

وهذه الجهة المجهولة التي تبيع هذه الأسرار تكسب الكثير، بجوار أنها بهذه الطريقة تتحكَّم في مصير هذه الدول، الأكثر أنها يمكن أن تتسبَّب في أزماتٍ دولية، بل يمكن أن تكون سببًا في قيام حربٍ عالمية، تفني العالم كله، فأنتم تعرفون ما وصلت إليه الأسلحة النووية الآن. إن رسالة الشياطين هي محاولة إقامة سلام في العالم كله؛ ولذلك فهي تقف أمام العصابات التي تهدِّد خير البشرية، سواء كان الخير في صورة اكتشافات هامة، مثل «رجل المستقبل»، الذي نتوقَّع أن يُحدِث ثورةً في العالم، من أجل رخاء البشرية، أو في صورة الحفاظ على علاقات الدول، حتى يتحقَّق سلام الجميع، أو حتى في الحفاظ على حياة الإنسان، إذا كان هناك مَن يهدِّده، إن مغامرتكم الجديدة، تتركَّز في مدينة «برن» أو ضواحيها، وأتوقَّع أن تكون ضواحي المدينة هي مقر نشاط هذه العصابة المجهولة التي تعمل في ميادين التجسُّس، ويبدو أنها وصلت إلى أجهزةٍ شديدة الدقة، تستطيع بها، أن تحصل على المعلومات التي تريدها، ثم تقوم ببيعها. إن عملاءنا في هذه الدول على اتصالٍ بطرقهم الخاصة بمراكز المسئولية فيها، والتقارير تصل إلى المقر السري أولًا بأول، لكن، حتى الآن لم تظهر نتيجة ما، أتوقَّع أن تنتهي المغامرة بنجاح كعادة الشياطين، أتمنى لكم التوفيق! توقيع رقم «صفر».»

انتهى التقرير الذي كان يضم أكثر من خمسة آلاف رقم شفري، كان الشياطين مستغرقين في أفكارهم، وهم يستمعون إلى «أحمد»، الذي قال في النهاية: نحن أمام لغز ضخم؛ أولًا: لأن هذه الجهة غير معلومة. ثانيًا: لأن مكان البحث غير محدَّد، فمدينة «برن» ليست مدينة صغيرة، وفيها آلاف الأبنية التي يمكن أن تضم فيها هذه الأجهزة، كذلك فإن ضواحي المدينة، وهي ضواحي زراعية وغابات، تجعل البحث عملية شاقة تمامًا ... سكت «أحمد» وانتظر رأي الشياطين.

قالت «زبيدة»: أنا لا أستبعد الآن أن يكون التقرير قد انتقل إلى العصابة، فما دامت الأجهزة التي لديها فائقة الدقة، فإنها تستطيع أن تسجِّل حوارنا الذي يجري هنا، وهذا يعني أننا يمكن أن ننكشف للعصابة!

قال «مصباح»: لا أظن أن المسألة يمكن أن تصل إلى هذه الدرجة؛ فمثل هذه الأجهزة لا تسجِّل إلا الإشارات السلكية واللاسلكية داخل الدولة أو الدول، أو تلك الرسائل المتبادلة بين دولةٍ وأخرى، لاسلكيًّا طبعًا ولاسلكيًّا. صمتَ لحظةً ثم أضاف: هناك احتمال أن يكون هناك مَن يتنصَّت علينا، ثم ينقل لهم ما نقوله!

قال «رشيد»: إن المهم في رأيي الآن، أن نبدأ العمل ...

ردَّ «بو عمير»: إن عملنا سوف يكون بلا بداية؛ لأننا لا ننعرف من أين نبدأ!

فجأةً؛ دقَّ جرس التليفون، رفعت «زبيدة» السماعة وسمعت عدة كلمات، ثم وضعتها، وقالت: هناك رسالة في الطريق ... يبدو أن معلومات جديدة قد وصلت من رقم «صفر»، تحرَّك «قيس» بسرعة وانصرف، ثم عاد بعد دقائق، كان يحمل مظروفًا كسابقه، وإن كان أصغر قليلًا. فتح «أحمد» المظروف وهو يقول: إن رقم «صفر» لا يستخدم أجهزة الإرسال، فقد يلتقطون واحدة من رسائلنا.

قال «بو عمير»: إن لغة الشياطين وشفرتهم لا يستطيع أحد أن يفهمها!

كان «أحمد» قد بدأ يقرأ الرسالة الشفرية، ويقوم بترجمتها في نفس الوقت، كانت الرسالة تقول:

> «إن تقارير عملائنا قد توصَّلَت إلى المنطقة التي يدور العمل فيها، وهي غابة الحور، التي تقع خارج مدينة «برن» مباشرة، وهي واحدة من الغابات المعروفة في المنطقة بأشجار الحور الضخمة، والتي يزورها السياح، كما يقضي فيها أهل المدينة عطلات نهاية الأسبوع، فقد استطاعت أجهزتنا أن تلتقط إشارات غريبة من الغابة ...»

لمعت أعين الشياطين، وظهرت على وجوههم الفرحة، حتى إن «بو عمير» قال: الآن، يمكن أن نبدأ!

قال «أحمد»: إن الرسالة لم تنتهِ بعدُ، سكتَ لحظةً ثم بدأ يقرأ: «لقد اكتشفت أجهزة الدول التي أشرنا إليها أن رسائلها الشفرية، تُلتقَط وتُفَكُّ رموزها، فتتحول إلى معلومات، حتى إن هذه الدول قد غيَّرَت شفرتها أكثر من عشر مرات، خلال الفترة الأخيرة، ومع ذلك ظلَّت المعلومات السرية المنقولة بالشفرة متداولة بين الدول. إن أجهزة العصابة، التي يبدو أنها متقدمة جدًّا، تستطيع أن تلتقط الرسائل الشفرية، وأن تقوم بحلِّها أيضًا ... وهذا نوع متقدِّم جدًّا من أساليب التجسُّس ...» توقَّفَ «أحمد» وقال: إننا أمام معجزة علمية، لا تقل عن معجزة «رجل المستقبل»، التي توصَّلَ إليها دكتور «بالم» غير أن تحديد المكان يجعل مهمتنا أسهل، أو أنه يقلِّل من نسبة الصعوبة فيها، سكتَ لحظةً ثم أضاف: إننا، كما يقول «بو عمير»: يجب أن نبدأ! تحرَّكَ الشياطين، غير أن «أحمد» قال: أقترح أن تبدأ حركتنا في الصباح، فإن دخولنا ليلًا إلى غابة الحور قد يكشف مهمتنا، ولا أظن أن العصابة قد تركت كلَّ شيء بلا حراسة، فلا بد أن لها عيونًا في المكان، ليلًا أو نهارًا، إلا أن النهار سوف يجعل وجودنا عاديًّا.

وافق الشياطين على اقتراح «أحمد»، واقترح «مصباح» أن يقوموا بجولةٍ حرة في المدينة، غير أن الجولة لم تستغرق وقتًا طويلًا، فقد كانت معظم الشوارع خالية؛ ولذلك عاد الشياطين إلى فندق «جوته»، ليقضوا سهرةً عادية، أمام جهاز التليفزيون، وقبل أن ينتصف الليل، كان كلٌّ منهم قد أخذ طريقه إلى فراشه ليستعد للنوم، الوحيد الذي ظلَّ مستيقظًا كان «أحمد»، لقد أخرج جهاز الاستقبال، وبدأ يغيِّر موجاته، حسب الدراسات التي عرفها في المقر السري، كان يفكِّر: أنه إذا استطاع أن يلتقط رسالةً ما على أي موجة، فإنه قد يتمكن من تحديد نقطة الهدف بالضبط، مرَّ الوقت بطيئًا دون أن يستطيع تحقيق نجاح يُذكر. كان الجهاز يستقبل الإرسال الإذاعي للمدينة، ثم لسويسرا كلها، دون أن يلتقط رسالة غريبة، ظلَّ ينظر إلى الجهاز لحظات ثم مدَّ يده إليه ليغلقه، لكنه فجأةً توقف، لقد بدأ يستمع من خلال السماعات الموجودة على أذنيه إلى كلماتٍ غير مفهومة، حتى إنه نسي يده ممدودة كما هي، لقد استغرق تمامًا في الاستماع، وكأنه قد تحوَّل إلى آذانٍ فقط، ظلَّتْ الرسالة مستمرة، دون أن يفهم منها شيئًا، لكنها فجأة انتهت، ولم يستغرق ذلك أكثر من دقيقةٍ واحدة، نظر إلى يده الممدودة، ثم ابتسم، حدَّد الموجة التي التقطت الرسالة، وقال في نفسه: لعلها تنفعنا غدًا! أغلقَ الجهاز وخلع السماعات، ثم استلقى على سريره يفكِّر فيما التقطه الجهاز، لكن النوم غلبه، فنام.

كانت «زبيدة» هي أول مَن استيقظ، وعندما أسرعت في نشاطٍ تمر عليهم، وجدتهم جميعًا قد استيقظوا، ولم يضيِّعوا وقتًا طويلًا، حتى إنهم لم يتناولوا إفطارهم، فقد قال «بو عمير»: إن الإفطار في الغابة سوف يكون مدهشًا!

وقال «قيس»: إنه إفطارٌ وعمل في نفس الوقت! وبسرعة كانوا يأخذون طريقهم إلى خارج حجراتهم، في نفس الوقت الذي اتصل فيه «أحمد» بعميل رقم «صفر»، وقبل أن ينطق بكلمة واحدة، كان العميل يرد: إنها في انتظاركم!

ابتسم «أحمد» وهو يشكره، ثم وضع السماعة، ولحق بالشياطين. أمام فندق «جوته» كانت سيارة «سترواين» خضراء اللون تقف في انتظار الشياطين، أشار إليها «أحمد»، فاتجهوا ناحيتها، أخرج «بو عمير» مفتاحًا خاصًّا، ثم وضعه في الباب فانفتح، قفز الشياطين بسرعة داخلها، وقالت «زبيدة»: لا تنسوا أن نأخذ إفطارنا، فأنا أعرف أن الشياطين ينسون كلَّ شيء أمام المغامرة.

ضحك «مصباح» وهو يقول: أليست «زبيدة» من الشياطين؟!

قالت: ولهذا تذكَّرتُ الإفطار، ليس لأنه طعام، ولكن لأنه عمل أولًا!

ضحك الشياطين، وانطلقت السيارة، أمام أحد محلات الطعام المنتشرة في المدينة، توقَّفَت السيارة، فقال «أحمد» مبتسمًا: أظن أن هذه مهمة «زبيدة»!

ضحك الشياطين، فنزلت «زبيدة» ومعها «رشيد»، واتجها إلى المحل، في نفس الوقت الذي أخرج فيه «أحمد» خريطة صغيرة للمدينة، وأخذ يحدِّد مكان غابة الحور منها، قال وهو يمرُّ بإصبعه على الخريطة: هناك ملاحظة، إن كل غابة تختلف عن الأخرى في نوعية الأشجار المزروعة ... ردَّ «بو عمير»: لعله نوع من التغيير، حتى لا يفقد الناس رغبتهم في رؤيتها!

أدار «أحمد» بوصلة التوجيه في السيارة، حتى حدَّدَ مكان غابة الحور، في نفس اللحظة التي كانت «زبيدة» و«رشيد» قد عادا، وهما يحملان كمياتٍ كبيرة من الطعام والمعلَّبات، ومعهما كان يظهر مضربان للتنس، علَّق «مصباح»: فكرةٌ جيدة، سوف تُعطينا الكُرات فرصة للجري داخل الغابة إلى مسافاتٍ مختلفة!

قال «قيس» ضاحكًا: المهم، مَن الذي سوف يكسب المباراة؟!

ضحك «رشيد» وقال: الشياطين طبعًا!

تحرَّكَت السيارة في هدوء، ثم بدأت سرعتها تزيد، وخلال ربع ساعة، كانت تأخذ طريقها خارج مدينة «برن»، كانت الحقول ممتدة، بخضرتها البديعة، وعندما دخلت السيارة بين الحقول، علَّقَت «زبيدة»: أظن أن أحدًا لا يستطيع رؤيتنا الآن؛ لأن السيارة لها لون النباتات فعلًا! وقال «قيس»: لعل عميل رقم «صفر» قد قصد ذلك!

من بعيدٍ ظهرت الغابة، كما حدَّدَها اتجاه البوصلة، كانت عبارة عن كتلةٍ ضخمة من اللون الأخضر، أخذت تقترب شيئًا فشيئًا، حتى بدأت تفاصيلها تظهر. كانت أشجار الحور الضخمة تقف كالقلاع الشاهقة، وكان المنظر يبدو بديعًا تمامًا، توقَّفَت السيارة خارج الغابة، حيث كانت سيارات كثيرة، كبيرة وصغيرة تقف أيضًا، كان واضحًا أن السياح كثيرون اليوم، وقف الشياطين يرقبون المكان، ليحدِّدوا أي منطقةٍ فيها سوف يجلسون، كانت هناك جماعات تفترش الخضرة، بينما جماعات أخرى قد افترشت أقمشة ملوَّنة على الأرض، وجلست فوقها، أيضًا كان هناك عدد من الشباب الذي يمرح ويجري. في جانبٍ، كان يوجد محل لبيع الأطعمة المحفوظة والمشروبات، وبجواره محلات صغيرة، تبيع كلَّ ما يمكن أن يحتاجه الإنسان في مكانٍ كهذا: كاميرات، أفلام و«بلوك نوت»، لوحات مرسومة، ولوحات للرسم، مسليات، أدوات رياضية، ملابس خفيفة، قبعات، كل شيء كان موجودًا. علَّقَت «زبيدة»: لقد حملنا ما لا نحتاجه! رد «أحمد»: بالعكس، إن ما فعلناه إيحاء بأننا

قصدنا قضاء اليوم، وليس من أجل هدفٍ آخَر. تركوا السيارة، ثم انتقوا مكانًا تحت شجرة حور ضخمة، وبدءوا يضعون أشياءهم، وقف «قيس» يمسك مضربًا ووقف أمامه «بو عمير» بمضربٍ آخَر، في نفس اللحظة التي أمسك فيها «رشيد» بالكاميرا، يريد التقاط صور لهما، فجأة كان رجلٌ ضخم يقترب منهم، وكانت ملامحه تبدو شرسة تمامًا، حتى إن ذلك لفت نظرهم، قال الرجل بصوتٍ خشن: ممنوع التصوير هنا، سأله «أحمد»: لماذا؟ رد: لأننا نستأجر المكان، وإذا أردتم التصوير نقوم بتحميض الأفلام وطبعها عندنا!

مرَّت لحظة سريعة، كان «أحمد» قد فكَّر خلالها، فابتسم قائلًا: لا بأس إذَن!

انصرف الرجل، بينما فكرة ما قد بدأت تتكوَّن في ذهن «أحمد»، لتكون بداية الخيط!

أحمد يقول: التفاحة قد نضجت!

أخذ «رشيد» يلتقط الصور التذكارية، في نفس الوقت الذي كان «أحمد» يرقب الرجل، الذي وقف بعيدًا، كان يبدو أنه يراقبهم، وكانت هذه المراقبة المتبادلة تجعل فكرة «أحمد» تتأكد أكثر؛ ولذلك فقد أخذ الكاميرا من «رشيد»، وبدأ يلتقط هو الصور؛ ولأن الفكرة التي فكَّر فيها تحتاج إلى عملٍ كثير، فقد طلب من «بو عمير» أن يشتري عددًا من الأفلام من أحد محلات التصوير، وعندما تمَّ ذلك علَّق الكاميرا في كتفه، وطلب من «قيس» أن يمسك أحد مضربَي التنس، وأن يدخل معه في مباراة، انقسم الشياطين إلى فريقين، كل فريق يشجِّع لاعبًا، اشتدَّ حماس المباراة بين «أحمد» و«قيس»، وتعالت الصيحات. فجأة؛ ضرب «أحمد» الكرة بقوةٍ، فطارت إلى مسافةٍ بعيدة.

قالت «زبيدة»: هذه ضربة خاطئة!

ابتسم «أحمد» وقال: إنها هي الضربة الصحيحة، وسوف تعرفين ذلك فيما بعد!

نظر إلى «قيس»، بمعنى: «اتبعني»، أسرع يجري خلف الكرة هو و«قيس»، في الوقت الذي جلس فيه الشياطين حول رقعة شطرنج، كان «بو عمير» قد لاحظ إشارة «أحمد» إلى «قيس»، فهمس: إن «أحمد» يُجري تجربةً ما، وليست المسألة تنس! اختفى «أحمد» و«قيس» عن أعين الشياطين، فقد كانت الكرة، قد سقطت في منطقةٍ بعيدة، فجأةً، قال «أحمد»: قف هنا، سوف ألتقط لك صورة ... كانت عينا «أحمد» ترقبان المكان، وكما توقَّع تمامًا، اقترب أحد الرجال منه، وقال: إن التصوير هنا ممنوع! وقبل أن يكمل جملته، كان «أحمد» قد ابتسم، وأكمل: سوف نقوم بتحميض الأفلام عندكم، وأيضًا طبع الصور! ابتسم الرجل، وهزَّ رأسه، وهو ينصرف ... قال «أحمد» في نفسه: هؤلاء هم رجال العصابة، إننا في المنطقة المقصودة تمامًا! ظلَّ «أحمد» يلتقط الصور من زوايا مختلفة، ويُعطي «لقيس» الكاميرا، ليلتقط له صورًا أخرى، وبسرعة استطاع أن يحدِّد دائرةً واسعة، يمكن أن يدور

داخلها التصوير. في نفس الوقت فكَّر في تجربةٍ أخرى، كان الفيلم الأول قد انتهى، فأخرجه من الكاميرا ووضع مكانه فيلمًا آخَر، في نفس الوقت الذي اتجه فيه إلى الرجل، وقدَّم له الفيلم، وهو يسأله: متى نحصل على الصور؟

قال الرجل: خلال نصف ساعة!

شكره وانصرف، قال «قيس»: ينبغي أن ننضم للشياطين الآن!

وفي طريق عودتهم، نقل «قيس» كلَّ ما فكَّر فيه، وقال في النهاية: ينبغي أن نغيِّر مكاننا إلى مكانٍ آخَر، حتى نتأكد من أفكارنا. انضمَّا إلى الشياطين، الذين كانوا قد استغرقوا في مباراة الشطرنج، قالت «زبيدة» عندما رأتهما مُقبلين: ها هما قد عادا!

نقل لهم «أحمد» ضرورة الانتقال إلى مكانٍ آخَر، دون أن يذكر السبب، نظر له «رشيد» وقال: أعتقد أننا في مكانٍ جيد! ابتسم «أحمد» قائلًا: لقد اكتشفنا مكانًا رائعًا!

جمعوا أشياءهم، وتركوا المكان، وهم يضحكون حتى لا يلفتوا النظر، وفي مكانٍ آخَر يبتعد عن الدائرة التي حدَّدها «أحمد» توقفوا وجلسوا، أخذ «أحمد» يلتقط الصور، ويغيِّر الزوايا ويجري هنا وهناك، هو وأحد الشياطين، ليلتقط صورًا أخرى، إلا أن أحدًا لم يمنعه، ولم يقُل له إن التصوير ممنوع. الآن تأكَّدَ «أحمد» أن المنطقة الأولى هي نقطة الهدف، غير أنهم لم يعودوا إليها، فبعد أن شرح لهم «أحمد» وجهة نظره، قال «مصباح»: لا يجب أن نعود الآن، لكن أقترح أن ننهي تصوير الفيلم، حتى نقوم بتحميضه وطبعه، إن ذلك سوف يجعل وجودنا عاديًّا، وتصرفنا عاديًّا أيضًا، في نفس الوقت، إن عودتنا للمكان بهذه الطريقة سوف تبدو عادية جدًّا!

وافق الشياطين على فكرة «مصباح»، فقضوا بعض الوقت في الجري والضحك، وإن كانت أعينهم ترقب كلَّ حركة في محيط المكان الذي يجلسون فيه، وبعد ساعةٍ عادوا لنفس المنطقة الأولى، التي أطلقوا عليها اسم «تفاحة». هناك ذهب «أحمد» إلى الرجل الذي قدَّم له الصور، وهو يبتسم قائلًا: إن هناك ثلاث صور تعرَّضَت للضوء، وبها اهتزاز كثير، ويبدو أن هذا الجزء من الفيلم قد تعرَّض للضوء، كذلك الزميل الذي قام بالتصوير، لم تكن يده ثابتة، فتسبَّب في الاهتزاز. قدَّمَ الصور لـ «أحمد» وهو يقول: وبالطبع، لن تجدها بين الصور! شكره «أحمد» وهو يقدِّم الفيلم الآخَر قائلًا: هل أطمع في تحميض وطبع هذا الفيلم؟

ابتسم الرجل ابتسامةً عريضة، وقال: بالتأكيد! إن ذلك سوف يسعدنا تمامًا.

أخذ «أحمد» الصور وعاد إلى الشياطين، أخذوا يضحكون، وهم يشاهدونها، كانت صورًا جيدة فعلًا، قال «أحمد»: سوف نبقى وقتًا آخَر هنا، لكن لا بد لنا من العودة غدًا،

وربما لأيامٍ أخرى! فَهِم الشياطين لماذا فكَّر «أحمد» بهذه الطريقة، فهو يريد أن يقوم بعملية مسح للغابة كلها، سأل «مصباح»: تُرى، كم تكون مساحة هذه الغابة؟

نظر الشياطين حولهم في شتَّى الاتجاهات، وكأنهم يقومون بقياس مساحتها، قالت «زبيدة» بعد لحظةٍ: أظن أنها لا تزيد على فدانَين!

هزَّ «مصباح» رأسه وقال: ربما، أو تزيد قليلًا!

قالت «زبيدة»: يعني في هذه الحدود. مرَّ الوقت، ثم فجأةً ظهر الرجل، وهو يحمل مظروفًا متوسطًا قدَّمَه لـ «أحمد»، وهو يقول: إن الصور كلها جيدة، ولم تسقط صورة واحدة!

شكره «أحمد» وهو يقدِّم له ما طلبه من نقود، انتظروا وقتًا آخَر، ثم قرَّرُوا الانصراف، وعندما أصبحوا في الفندق، قال «أحمد»: هل تحتاجون لبعض الراحة؟ اتفق الجميع على أن يرتاحوا بعض الوقت، ثم يعقدوا اجتماع عمل، وفعلًا أخذ كلٌّ منهم مكانه في الفراش، واستغرقوا في النوم، حتى «أحمد» الذي كان يبقى بعض الوقت مستيقظًا، استغرق هو الآخَر في النوم، فلم يكن هناك ما يقلقه بعد أن اتضحت أمامه الصورة، وبقي أن يضيف إليها تأكيدًا آخَر، عندما يستيقظ من النوم. انقضت ساعة، ثم أخذ الشياطين يستيقظون الواحد بعد الآخَر، وفي خلال ربع ساعة كانوا يجلسون في شبه دائرة في صورة اجتماع. بدأ «أحمد» الاجتماع بأنْ بسطَ أمامه صور الفيلم الأول، التي كانت تنقص ثلاث صور، أخذ يرتِّب الصور تبعًا للزوايا التي صورها، وكانت في النهاية تعطي شكلًا كاملًا للدائرة التي تخيلها، أشار إلى مكان الصور الثلاث وقال: إن هذه الصور الناقصة تبين المكان الذي نريده، ويبدو أن العصابة تحرص على تحميض الأفلام وطبعها، حتى تتأكد أن المكان المقصود ليس موجودًا فيها! سكت لحظةً، بينما سأل «مصباح»: لكن مثل هذه الأمور لا تهم أحدًا ... أجاب «أحمد»: لكن ضرورة الاحتياط واجبة، فقد يظهر شيء ما في الصورة، يمكن أن يلفت نظر أحد، خصوصًا وهناك عمليات بحث، من المؤكد أن العصابة تضعها في حسابها! توقَّفَ لنصف دقيقة، ثم قال: إنني أقترح أن نعيد التجربة مرةً أخرى غدًا، وربما بعد غدٍ أيضًا، حتى نتأكد تمامًا، وحتى يكون بحثنا موثوقًا به، ولعل ما يلفت النظر، هو أننا عندما صوَّرنا الفيلم الثاني، فإن أحدًا لم يعترض كذلك، فإن الصور لم تنقص واحدة، وهذا يؤكِّد أنهم يستبعدون الصور التي يرون أنها يمكن أن تكشف المكان ... سكتَ قليلًا، فقال «بو عمير»: إن الغريب في الأمر، أنه لا يوجد شيء غير عادي، فلا يوجد في الغابة سوى الأشجار!

أضاف «رشيد»: هناك المحلات التي تبيع لروَّاد الغابة، مَن يدري؟ فقد يكون أحد هذه المحال مجهَّزة لذلك! قال «قيس»: لا أظن، فمثل هذه المحلات يكون مكشوفًا أو لافتًا للنظر، ولا يمكن أن تلجأ العصابة إلى طريقةٍ مكشوفة، خصوصًا وأن تقارير رقم «صفر» تقول إنهم يعملون بأجهزةٍ غاية في الدقة! صمتَ لحظةً، ثم قال: إن استخدام مثل هذه المحال يجعلهم عرضة للتفتيش، وكما قال «أحمد»، فهم يحسبون كلَّ شيء!

تحاور الشياطين كثيرًا، وعندما توقَّفَ الجميع عن الكلام، قال «أحمد»: إن المنطقة التي صوَّرنا فيها، والتي نقصت ثلاث صور، هي المنطقة الهامة في الغابة كلها، وسوف تكون هدفنا غدًا!

قال «بو عمير»: أقترح إذَن أن ننقسم إلى مجموعتَين، وكل مجموعةٍ تقف في نفس المنطقة، وكأننا لا علاقة لنا ببعض، وكل مجموعة تقوم بالتصوير، إن ذلك سوف يؤكد أفكارنا، ومن جهةٍ أخرى، ربما خرجت إحدى الصور تحمل ما يفيدنا، أيضًا، إن تكرار ذلك هو نوعٌ من التأكيد. في النهاية، استقرَّ الرأي على الذهاب غدًا إلى الغابة، على أن تكون كل مجموعةٍ وحدها؛ ولذلك فقد طلب «أحمد» من عميل رقم «صفر» سيارةً أخرى صغيرة، ومختلفة تمامًا عن «الستروين» الخضراء.

في اليوم التالي، تحرَّكَت سيارتان من أمام فندق «جوته»، الأولى «الستروين» الخضراء، تضم «أحمد» و«مصباح» و«بو عمير»، والثانية «مرسيدس» سبور بيضاء، تضم «قيس» و«رشيد» و«زبيدة»، ولم تمضِ ساعة، حتى كانت السيارتان تقفان على مشارف الغابة، في مكانَين مختلفين. وفي هدوءٍ، وككل الموجودين، تقدَّمت المجموعتان، وأخذت كل مجموعة مكانًا ... انشغلت كل مجموعة بلعبةٍ مختلفة، ثم حانت لحظة التصوير، عندما بدأ «أحمد» في إخراج الكاميرا من حقيبتها، كان الرجل يقترب، هو نفس رجل الأمس، قال مبتسمًا: التصوير هنا ممنوع، إلا إذا قمنا بتحميض الفيلم وطبع الصور!

ابتسم «أحمد» وقال: إن هذا يسهل لنا كل شيء، ولا بأس من ذلك، حتى نطمئن على الصور التي نلتقطها! نظر الرجل له لحظة، ثم قال في ابتسامةٍ مصطنعة: أظن أنني رأيتك أمس؟ تصنَّع «أحمد» الدهشة، وقال: رأيتني؟ صحيحٌ أنني كنت هنا أمس، لكنني لا أذكر! توقَّفَ لحظةً، ثم قال: نعم، نعم، أنت الذي حمَّضتَ لي الفيلم وطبعت الصور، حتى إن الفيلم كان ينقص ثلاث صور!

قال الرجل: تمامًا! ثم ابتسم وأضاف: أرجو أن تُحسِن التصوير هذه المرة!

ضحك الشياطين، فقال الرجل: هل الكاميرا جاهزة للتصوير الآن؟

قال «أحمد»: نعم!

قال الرجل: إذَن دعني ألتقط لكم بعض الصور بنفسي، حتى لا تضيع صور أخرى ... ضحكوا، وقدَّموا له الكاميرا، وبسرعةٍ كان «أحمد» يفكِّر في استغلال الفرصة، فقد وقف هو و«مصباح» و«بو عمير» في نفس الزاوية التي صوَّرَها بالأمس، إلا أن الرجل قال: ينبغي أن تقفوا في هذه الزاوية حتى يأتي عُمق الغابة في الصورة، فيكون لها جمالًا!

كانت هذه الكلمات بالضبط ما أراد «أحمد» أن يسمعها؛ ولذلك فقد جلسوا على الأرض في نفس المكان الذي أشار إليه الرجل، وحتى لا يشك في شيء، أخذ الرجل يصورهم من زوايا مختلفة، لكن ظلت زاوية واحدة لم يقترب منها أبدًا، قال «أحمد»: تكفي هذه المجموعة الآن. قال الرجل: لا بأس، وعندما تريدون التقاط صور أخرى، فإنني تحت أمركم، وحتى تضمكم الصور أنتم الثلاثة معًا! شكره «أحمد» فانصرف، ألقى «أحمد» نظرةً سريعة في اتجاه المجموعة الأخرى، وكان الغريب أن نفس الشيء كان يحدث معهم، فقد كان هناك رجلٌ يقوم بتصويرهم، همس قائلًا: الآن لم يعُد هناك شك، إن هذا يحدث مع كثيرين من رواد الغابة، وهذا يؤكِّد كلَّ ما فكَّرنا فيه! سكت لحظةً ثم قال: إن مهمتنا الآن، هي رصد المكان جيدًا، سواء كان رصد الأشجار أو غيرها ... سكت لحظةً ثم قال: سوف نلعب الآن مباراة تنس، وسوف أضرب الكرة بشدةٍ في اتجاه المجموعة الأخرى، وسوف يذهب «مصباح» خلف الكرة، ليلفت نظر المجموعة إلى ضرورة رصد كل شيء داخل هذه الدائرة، وبسرعة وقف الاثنان بيد كلٍّ منهما مضربًا، ووقف «بو عمير» وهو يقوم بدور الحكم، بعد تبادل الكرة عدة مرات، ضربها «أحمد» بقوةٍ في اتجاه مجموعة الشياطين الأخرى، ثم وقف. أسرع «مصباح» خلف الكرة التي سقطت عند قدمي «زبيدة»، وعندما وصل إلى هناك، تحدَّث قليلًا، ثم التقط الكرة وعاد، أخذ الشياطين يتجوَّلون في الغابة، وهم يُبدون إعجابهم بالأشجار، والزهور التي كانت تنبت في أحواضٍ، بعيدًا عن أماكن اللعب، وعند كل حوض، تحذير: ممنوع قطف الزهور!

فجأةً؛ توقَّفَ «أحمد» عند شجرةٍ من أشجار الغابة، لفت نظره فيها اختلافها عن بقية الأشجار الأخرى، غير أنه لم يقف بجوارها كثيرًا، فقد ابتعد عنها، وإن ظلَّت ثابتة في تفكيره، وعندما أصبح بعيدًا، ألقى نظرةً على الشجرة، كان يتأمَّلُها عن بُعد. فكَّر: إن الرجال هنا يمكن أن تكون أعينُهم عليَّ! نظر إلى «مصباح» و«قيس» اللذين اقتربا منه، وقال: هيا نأكل، فقد بدأت أشعر بجوعٍ ... اشترك الثلاثة في تجهيز طعام الغداء. وعندما جلسوا، حرص «أحمد» على أن تكون الشجرة الغريبة أمامه؛ حتى يستطيع أن يراها أكثر،

في الوقت الذي يكون فيه كمَن يتناول طعامه فقط. لم يكن قد قال شيئًا لـ «مصباح» أو «بو عمير»، فقد كان ما فكَّر فيه يبدو غريبًا، وإن كان قد قال في نفسه: هناك فرق بين أن يدهش الإنسان لشيءٍ يبدو غريبًا، وبين أن يكون هذا الشيء المدهش ممكنًا! لقد بدأت فكرة ما تنبت في ذهنه، وتذكَّرَ إحدى القصص التي قرأها قديمًا ... كان «مصباح» ينظر إليه فقال: يبدو أنك توصَّلت لشيء!

رفع «بو عمير» وجهه بسرعةٍ إلى «أحمد» عندما سمع كلمات «مصباح»، فقال «أحمد»: أرجو أن يكون ما فكَّرت فيه صحيحًا، ويبدو أن «التفاحة» قد نضجت!

لقد كان هناك معنى خفي لهذه الكلمات التي قالها.

فجأة ... حدث ما لم يكن يتوقَّعه!

قبل أن ينصرف الشياطين من غابة الحور، كان «أحمد» قد حدَّد بالضبط مكان الشجرة الغريبة، وعندما ضمهم الاجتماع، عرض وجهة نظره، قال: لقد لفتت نظري شجرة غريبة بين الأشجار، فهي تختلف عن أشجار الغابة في كل شيء، بجوار أنها تتميَّز بساقٍ ضخمة، إنني لا أعرف أي نوع من الأشجار هي، لكني أظن أنها مجهزة تجهيزًا ذكيًّا ... توقف فجأة، بينما كان الشياطين يرقبونه وهو يعرض وجهة نظره، كان ما يقوله غريبًا فعلًا، فماذا يمكن أن تؤديه شجرة في غابة، حتى لو كانت شجرة غريبة؟!

سألت «زبيدة»: إنني لا أفهم بالضبط ما تعنيه؟!

قال «أحمد» بعد لحظة: أنتم تعرفون أن العلم اختصر الآن كل شيء، ويمكن أن تكون هناك أجهزة دقيقة جدًّا تحتل مساحةً صغيرة، ونحن مثلًا نحمل أجهزةً دقيقة للغاية ... وهذا ما يجعلني أقول إن هذه الشجرة الغريبة يمكن أن تكون هي نفسها مركز الرصد والاستقبال والإرسال والترجمة وكل شيء ... صمتَ لحظةً، ثم أضاف: إنني في حاجةٍ إلى معلوماتٍ دقيقة عن الأشجار، وأماكن زراعتها، والأجواء التي تنبت فيها.

قال «مصباح» بسرعة: يمكن أن ننزل الآن إلى إحدى المكتبات، للحصول على كتابٍ يعطينا هذه المعلومات التي نريدها، كان اقتراح «مصباح» طيِّبًا، فوافق الشياطين عليه، وفي دقائق كانوا يأخذون طريقهم إلى الخارج، وقبل أن يخرجوا من باب الفندق، قال «أحمد»: ينبغي ألا نتحرك معًا، حتى لا نلفت نظر أحد، فمَن يدري؟ قد تكون هناك بعض العيون التي ترصدنا. وهكذا انقسم الشياطين إلى نفس مجموعتَي الغابة، مجموعة تضم «أحمد» و«مصباح» «بو عمير»، ومجموعة أخرى تضم «قيس» و«رشيد» و«زبيدة» ... كانت المجموعة الأولى تسير في المقدمة، وعلى بُعد عدة أمتارٍ منها، تسير المجموعة الثانية،

كانت الأحاديث التي تدور أحاديث عادية بعيدة عن المغامرة، كان المساء قد بدأ يزحف على الشوارع التي بدأت تُضاء، وكان هذا يعني أن المحلات توشك أن تغلق أبوابها ... ولذلك فقد أسرعت المجموعة الأولى حتى لا يضيع الوقت. وفي شارع ٣٦ ظهر عدد من المكتبات، وعند أول مكتبة، توقفت المجموعة، ودخل «أحمد» وحده، اتجه إلى البائع، وطلب الكتاب الذي يريده، فنظر له الرجل مبتسمًا، وهو يعتذر اعتذارًا رقيقًا، عاد «أحمد» وتحركوا إلى المكتبة المجاورة، لكنهم أيضًا لم يجدوا سوى الاعتذار، طال البحث دون العثور على الكتاب المطلوب، قال «أحمد» في النهاية: يبدو أننا يجب أن نلجأ إلى عميل رقم «صفر» ... وأمام ذلك قرروا العودة إلى الفندق، كانت المجموعة الثانية تتبعهم عن بُعد، لكن فجأةً توقَّفَ «أحمد» وهو يضع يده على جهاز الاستقبال، نظر له «مصباح» و«بو عمير» فقد عرفوا أن هناك رسالة ما، مرَّت دقيقة ثم التفت «أحمد» في هدوء، وكانت الرسالة قد انتهت، نظر بطرف عينَيه بينما كان قد بدأ يتحرك من مكانه، ثم علَت ابتسامة هادئة وجهه، وهمس: تمامًا كما توقَّعت، إن هناك عيونًا ترقبنا!

لم يلتفت أيٌّ من «مصباح» و«بو عمير»، فهما يعرفان أن ذلك يمكن أن يلفت النظر إليهما، وسارا بجوار «أحمد» في هدوء، في نفس اللحظة التي أرسل فيها رسالة إلى المجموعة الثانية، يطلب منهم أن يتجهوا إلى الفندق، ثم همس في هدوء: إن رجل الغابة، يتبعنا! سار الثلاثة في خطواتٍ بطيئة، يمكن أن تعطي للرجل فرصة اللحاق بهم، أخرج «بو عمير» مرآة صغيرة، ثم وجهها في اتجاه الرجل، ونظر فيها، جاءت صورة الرجل في المرآة واضحة تمامًا، فقال: إنه يسير خلفنا، على بُعد عشرين مترًا.

سأله «أحمد»: وأين الشياطين؟ ظلَّ «بو عمير» يرقب المرآة بحثًا عن الشياطين، كان عدد المارة قليلًا، مما أتاح له فرصة البحث جيدًا، قال بعد لحظاتٍ: يبدو أنهم غيَّروا طريقهم واتجهوا إلى الفندق، فهم لا يظهرون خلفنا ... أسرع «أحمد» يرسل رسالة إلى الشياطين، يطلب منهم الاتصال بعميل رقم «صفر»، للحصول على معلوماتٍ عن أشجار الحور، وأشجار الصنوبر، ثم قال في نهاية الرسالة: استعدوا، فقد نبدأ المعركة الليلة! ظلَّ شياطين المجموعة الأولى في طريقهم، وكان «بو عمير» يراقب المرآة بين كل لحظةٍ وأخرى، وينقل إلى «أحمد» و«مصباح» المسافة التي يبعدها الرجل. همس «أحمد»: ينبغي أن نغيِّر اتجاهنا حتى نتأكد، فربما يكون اللقاء مصادفة! عند أول شارع انحرفوا فيه، واستمروا بنفس سرعة المشي. بعد دقائقٍ رفع «بو عمير» المرآة، ونظر فيها ثم همس: لقد ظهر عند ناصية الشارع ... بعد قليلٍ أضاف: لقد انضم إليه آخَر، وهما يسيران خلفنا!

قال «أحمد»: إذَن، لقد شكَّ الرجل في أمرنا، نحن الآن نقترب من لحظة الصدام ... مرَّ بعض الوقت وهم يسيرون، ثم قال «مصباح»: أقترح أن نجلس في أحد الأماكن العامة؛ لنرى ما سوف يحدث!

انتهى الشارع، فانحرفوا إلى شارعٍ آخَر، ظهر أحد المقاهي في منتصفه، فقال «مصباح»: سوف نجلس في هذا المقهى! تقدموا أكثر حتى دخلوا المقهى وجلسوا فيه. كان «مصباح» يجلس ووجهه إلى الباب، في نفس الوقت، جلس «أحمد» و«بو عمير» أمامه، وظهرهما إلى الباب، قال «مصباح» بعد دقائقٍ: لقد دخلا المقهى، وجلسا في أحد الأركان بالقرب من الباب. جاء الجرسون، فطلبوا شيئًا ساخنًا وتشاغلوا بالحديث، بينما كان «مصباح» يرقب الرجلَين بين كل لحظةٍ وأخرى. مرَّ بعض الوقت، وجاءهم الشاي الساخن، الذي كان البخار يتصاعد منه، همس «أحمد»: سوف أخرج لبعض الوقت وأعود، فارقبا حركتهما جيدًا!

قام في هدوءٍ وانصرف، دون أن يُلقي نظرةً على الرجلين، وعندما اختفى خارج المقهى، قال «مصباح»: يبدو أن أحد الرجلين سوف ينصرف! ولم يكد ينتهي من جملته، حتى كان أحد الرجلين قد انصرف فعلًا، وكان هو نفسه رجل الغابة، قال «مصباح»: هل أتبعه؟

ردَّ «بو عمير» بسرعة: إن ذلك سوف يلفت نظر الرجل الآخَر، دع الأمور تسير في مجراها الطبيعي! مرَّت نصف ساعة، كان الرجل الآخَر لا يزال في مكانه دون أن يتحرك، بدأ «مصباح» و«بو عمير» يشعران بالقلق، «فأحمد» لم يعُد، كما أنه لم يرسل لهما رسالة ... همس «مصباح»: أفكِّر في أن ننصرف! مرَّت دقائق وقال «مصباح»: ينبغي أن ترسل رسالة إلى الشياطين ... فكَّر «بو عمير» قليلًا ثم وضع يده في جيبه، وبدأ يلمس الجهاز لمساتٍ رقيقة، ليرسل إلى الشياطين الرسالة، وعندما انتهى منها انتظر، كانت الرسالة خاصة بـ «أحمد»، فجاءه الرد: «لا توجد أخبار، المعلومات وصلت من العميل!»

فجأةً؛ ظهر «أحمد»، كانت تبدو على وجهه ابتسامة هادئة وانضم إلى الآخَرين، وعندما جلس همس: يجب أن نبدأ العمل، فقد ظلَّ الرجل يتبعني طوال هذه الفترة، بالرغم من أنني غيَّرتُ طريقي أكثر من مرة!

ثم أخرج من جيوبه بعض قطع الشيكولاتة والبسكويت، وقال مبتسمًا: خذ هذه، حتى لا يشك في أنني كنت ألاعبه! ابتسم «مصباح» و«بو عمير»، وهما يأخذان بعض قطع الشيكولاتة، قال «بو عمير»: لقد وصلت المعلومات إلى الشياطين في الفندق! فكَّر «أحمد» قليلًا وقال: لا ينبغي أن نعود إلى الفندق الليلة، لقد ذهبت إلى حيث تقف سيارتنا

«الستروين» هناك، ثم ركبتها وعدت، ومع ذلك ظلَّ رجل الغابة ورائي، يجب أن نحصل على المعلومات، ثم نتدبر أمورنا!

قال «مصباح»: يمكن أن ننصرف الآن، وعن طريق تليفون السيارة نستطيع أن نحصل على المعلومات! فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم تساءل: ترى، هل سجلت العصابة هذه الرسائل التي تتبادلها مع الشياطين؟!

صمت الاثنان قليلًا، ثم قال «بو عمير»: لهذا؛ يجب أن نسرع بالانتهاء من المغامرة! استدعى «مصباح» الجرسون، ثم دفع الحساب وانصرفوا، كانت «الستروين» الخضراء تقف قريبًا من المقهى فركب الثلاثة، كان «بو عمير» يجلس إلى عجلة القيادة، فوجَّهَ مرآة السيارة في اتجاه باب المقهى، ليرقب خروج الرجلين، في نفس الوقت أسرع «أحمد» بالاتصال بالشياطين، وهو يهمس: «غيِّرْ لون الزجاج» ... ضغط «بو عمير» على زر في تابلوه السيارة، فأخذ الزجاج يتلوَّن بلونٍ أخضر غامق، فيُخفي مَن بداخلها، وإن كان لا يحجب الرؤية عنه، تحدَّث «أحمد» إلى «قيس» الذي أخذ يقرأ له في إيجاز، معلوماتٍ سريعة عن شجرة الحور، ثم شجرة الصنوبر، وعندما انتهت المكالمة، قال «بو عمير»: لقد خرجنا منذ فترة، وها هما يقفان على رصيف الشارع، قال «أحمد»: تحرَّكْ إذَن! أدار «بو عمير» محرِّك السيارة، وأخذ يتحرك في هدوء، ثم قال: إن هناك سيارةً تقترب منهما! قال «أحمد» بسرعة: يجب أن نختفي قبل أن تصل إليهما! ضغط «بو عمير» بنزين السيارة فانطلقت فجأة.

قال «أحمد»: انحرِف عند أول شارع، ثم أعطِني فرصةً للنزول، واطلب سيارة تنتظرني عند الدرجة ٩٠ عند أول شارع ... في هذه اللحظة قال «بو عمير» لقد ظهرت السيارة ... وعندما دخل الشارع أبطأ السرعة، فقفز «أحمد» بسرعة، واختفى في باب أحد المنازل، في نفس الوقت الذي انطلق فيه «بو عمير» بالسيارة. مرَّتْ دقيقتان، وشاهد «أحمد» من مكانه سيارةً بُنِّية اللون، تنطلق بسرعة، واستطاع أن يرى في الكرسي الأمامي رجل الغابة، ابتسم في رضا، ثم خرج من المنزل، واتجه إلى النقطة التي حدَّدَها عند الدرجة ٩٠ من الشارع الرئيسي، قال في نفسه: ينبغي أن أقوم بمغامرةٍ، وهي لن تتم إلا في الليل ... كان يسير بسرعة، حتى يصل إلى النقطة التي حدَّدَها، وبعد ربع ساعة، وصل إلى هناك، كانت سيارة «رينو» سوداء تقف وحيدة فاقترب منها، وقد أخرج مفتاحًا خاصًّا، وضعه فيها، ثم فتح الباب، وفي لحظاتٍ كان يمرق في الليل، إلى حيث توجد غابة الحور، ترك مدينة «برن» خلفه، ولم يكن أمامه سوى الحقول التي تمتد في عمق الليل، ومصابيح بعيدة تلمع

وسط الظلام، قال لنفسه: لماذا اخترت شجر الحور وشجر الصنوبر، ظلَّ يعيد السؤال في رأسه ثم قال لنفسه: لماذا لا تكون شجرة بلوط؟! إن شجرة البلوط أكثر ضخامة، ويمكن أن يستوعب أي شيء! أخذ يتذكَّر تلك الشجرة الغريبة التي لفتت نظره في الغابة، ويستعيد صورتها، قال لنفسه: إن أكثر ما لفت نظري لها، هو درجة نموها، فهي تبدو ذابلة قليلة بجوار أن ساقها مختلفة فعلًا عن بقية الأشجار، كما أنها أضخم وأكثر ارتفاعًا، وهذا يُعطي فرصة لتنفيذ هذه الفكرة الجهنمية، كان قد اقترب من الغابة، التي كان يلفها الليل، أوقف السيارة على جانب الطريق في مكانٍ آمن، ثم غادرها في هدوء ... سار في حذر حتى ابتعد عنها، ثم استدار يُلقي نظرةً على السيارة، فلم يرها.

ابتسم وقال في نفسه: «إنه اختيار جيد»، تقدَّم في حرص، حتى وقف على مشارف الغابة، تلفَّتَ حوله، يرقب ما يمكن أن يظهر، فهو يعرف أنه من الضروري أن تكون هناك حراسة ما، إذا كان كل ما فكَّر فيه صحيحًا! خطا فوق الحشائش الخضراء، التي كانت تعطيه فرصة للتقدُّم، فهي لا تُصدر أيَّ صوت. ألقى نظرة وسط الظلام يحدِّد مكان الشجرة، كما رصده في النهار، لكنه فجأةً؛ سمع صوتًا يتحدَّث، تجمَّدَ في مكانه، ثم نزل على ركبتَيه في هدوء، وأخذ يتقدَّم على مهل، اقتربت الأصوات أكثر، وإن كان لم يستطع تمييزها جيدًا، توقَّفَ عن التقدُّم، وظلَّ ينصت إلى الأصوات في تركيزٍ شديد، سمع صوتًا يقول كلماته في بطء: إن الرسالة الأخيرة التي التقطت من ألمانيا سوف تكون صفقة طيِّبة بالنسبة لنا، فهي تهمُّ أمريكا تمامًا!

ردَّ عليه صوت آخَر يقول كلماته بطريقةٍ جافة: إنها أيضًا تهم الاتحاد السوفيتي، فهي تحمل معلوماتٍ عسكرية غاية في الخطورة ... صمت كل شيء، حتى الأصوات التي كانت تتكلم اختفت، ظلَّ في مكانه لا يتقدَّم لبعض الوقت، ثم فجأةً، ظهرت الأصوات من جديدٍ، لكنها كانت بعيدة، فعرف أن صاحبَيها قد ابتعدا، تقدَّم أكثر في اتجاه الشجرة، ثم توقَّف عندما اقترب منها، مدَّ يده يتلمسها، ثم تلمس أخرى قريبة منها، كانت الاثنتان قريبتَين تمامًا، قال في نفسه: إنني أخطأت الطريق، فكَّر قليلًا، ثم استعاد المكان في ذاكرته، تحرَّك من مكانه في اتجاه اليمين قليلًا، ثم مدَّ يده، يتلمَّس أقرب شجرة إليه، لكن يده توقفت فوق ساق الشجرة، وقد تناهى إلى سمعه أصوات أجهزة تعمل، كانت الأصوات هادئة جدًّا، حتى إنه لا يمكن سماعها بسهولة، اقترب من الشجرة أكثر، ثم وضع أذنه عليها، وبدأ يتسمَّع، علَت الدهشة وجهه، لكن فجأة؛ حدث ما لم يكن يتوقعه!

الصراع معهم ... بطريقةٍ علمية!

فجأةً؛ ظهر رجل الغابة فوق رأسه تمامًا، لم يقف «أحمد»، بل ظل ينظر إليه في الظلام. ضحك الرجل ضحكةً مكتومة، ثم قال: لقد توقعتُ مجيئك إلى هنا، إنك لم تكن ذكيًّا بما يكفي! ومع انتهاء جملته، كانت قدمه تأخذ طريقها إلى وجه «أحمد»، الذي كان على استعدادٍ تمامًا؛ ولذلك فقد تلقَّى قدم الرجل بين يدَيه، ثم تعلَّق بها في نفس اللحظة التي ضرب فيها الرِّجل الأخرى، فتهاوى على الأرض، قفز فوقه بسرعة، ثم سدَّد له ضربةً قوية، ولعنفها شعر «أحمد» بالألم في يده، وعرف أنه أمام خصمٍ قوي، كان الرجل قد تلقَّى اللكمة، وسدَّد يدًا قوية إلى فكِّ «أحمد»، فلم تلمس سوى وجهه، بدرجةٍ غير مؤثرة، تبادل معه اللكمات، إلا أن «أحمد» غافله فجأةً، وضربه بقدمه ضربةً قوية، جعلت الرجل يئِنُّ ثم يصرخ، فَهِم «أحمد» أن الصرخة لم تكن سوى نداء استغاثة، وهذا يعني أنه سوف يقف وحده في معركةٍ قد لا تكون متكافئة، أسرع يضربه بكلتا يدَيه، فسقط الرجل على الأرض، أمسك بقدمَيه، ثم سحبه، غير أن الرجل كان ثقيل الوزن، ظلَّ يحاول معه حتى استطاع في النهاية، أن يبعده عن المكان، وتحت شجرةٍ بعيدة من أشجار الحور، أوثقَ يدَيه وقدمَيه ثم كمَّم فمه، أخرج جهاز الإرسال وأرسل رسالة إلى الشياطين، يطلب منهم الانضمام إليه.

وما إن انتهى من الرسالة حتى عاد مرةً أخرى إلى حيث توجد الشجرة الغريبة، وضع أذنه عليها، ثم أخذ يستمع إلى أصواتٍ غريبة تصدر منها، قال في نفسه: إنها تبدو كمركزٍ مُجهَّز ... وإن الرسالة التي أرسلتها إلى الشياطين، قد سُجِّلت بالتأكيد، وسوف يحلون شفرة الشياطين، كما قال رقم «صفر»، فالأجهزة التي لديهم تستطيع ذلك ... إن المغامرة لا بد أن تنتهي الليلة، فالشياطين أنفسهم قد أصبحوا في خطر ... سار عدة خطوات بعيدًا عن الشجرة، ثم توقَّفَ؛ فقد سمع أصواتًا تقترب، استطاع أن يتبيَّنها جيدًا، كان أحد

الأصوات يقول: لقد نزل من السيارة، وأخذ طريقه إلى الغابة، فقد شك أنه سوف يذهب إلى هناك، أما أنا فقد تبعت السيارة «الستروين» الخضراء، لكنها استطاعت أن تفلت مني ... صمت الصوت، فسأل صوتٌ آخَر: وأين هو إذَن؟

ردَّ الصوت الأول: لقد اتفقنا على أنه إذا لم يعُد في خلال ساعة، فسيكون شيءٌ ما قد حدث؛ ولذلك فقد أسرعت إليكم؛ لأنه لم يعُد خلال الساعة ... كانت الأصوات تقترب أكثر، فقال «أحمد» في نفسه: لو كان الشياطين هنا لكنا قد انتهينا من المغامرة الآن ... ظلَّ في مكانه لا يتحرك، بعد أن عرف كل شيء، كانت مهمته الآن ألا يشتبك مع أحد أفراد العصابة، وألا يقع في أيديهم، اختبأ خلف الشجرة، يتسمَّع إلى الأصوات التي تقترب، فجأةً برزت وجوه في الظلام، قال في نفسه: إنهما ليسا اثنَين إذَن، فهذه مجموعة من الرجال، فكَّر قليلًا: هل يخرج لهم، أم أن هذه سوف تكون معركة من طرفٍ واحد؟ ... ظلَّ في مكانه وسمع أحدهم يقول: يجب أن نستخدم أجهزة الكشف، فالغابة واسعة، ومجال الاختفاء فيها ممكن ... كانت هذه الجملة كفيلة بأن تجعل تفكير «أحمد» يتغيَّر، فأجهزة الكشف التي يتحدثون عنها سوف تكشف مكانه أو مكان الشياطين، إذا كانوا قد أخذوا طريقهم إلى الغابة؛ ولذلك فعليه أن يتصرف بسرعة قبل أن تصل هذه الأجهزة، فكَّر في أن يستخدم الإبر المخدرة، لكنه تردَّد، فسقوط أحدهم بين أيديهم دون سبب سوف يكشف قوة الشياطين، التي يمكن أن يقابلوها بقوةٍ أكبر؛ ولذلك فإن الاشتباك المباشر معهم، وفورًا، هو الطريق الوحيد، لكن كيف يمكن أن يشتبك معهم وهو وحده، ولم يصل الشياطين بعدُ.

فجأةً شعر بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالة في الطريق، وضع يده عليه، ولم تكن الرسالة سوى كلمتَين أرسلهما الشياطين: «نحن بجوارك.» نظر حوله يحاول أن يرى شيئًا وسط الظلام، ثم أرهف أذنَيه لعلَّه يسمع أيَّ صوت، لكنه لم يكن يسمع سوى كلمات رجال العصابة. فجأةً؛ كانت دقة خفيفة تصل إلى أذنَيه، فعرف أنهم الشياطين، ركَّز نظره في الظلام فرأى «قيس» و«زبيدة» و«رشيد» بجواره تمامًا، همس: أين «مصباح» و«بو عمير»؟

ردَّ «رشيد»: إنهما في معركةٍ سريعة، لا تحتاج سواهما فقط.

مرَّت لحظة صمت، ثم قال «أحمد»: إن علينا أن نبدأ المعركة فورًا، فنحن مُعرَّضون للحصار ... ثم نقل إليهم كلَّ ما سمعه من رجال العصابة، وفي النهاية أضاف: إن اشتباكنا في معركةٍ مباشرة بلا أصوات يمكن أن يعطينا فرصة السيطرة على الموقف.

ردَّ «قيس»: إذَن، فلنبدأ. تنفَّسَ «أحمد» في عمق، ثم قال: إنهم يقفون الآن في مكانهم منذ ربع ساعة، وهم لم يصلوا إلى نتيجةٍ بعدُ، سوف نقترب في هدوء، وفي شكل نصف

دائرة، وعندما تبدأ حركتهم سوف نكون فوق رءوسهم! تقدَّمَ الشياطين في حذر، كان رجال العصابة قد بدءوا يتحرَّكون فعلًا، أعطى «أحمد» إشارة، فاستعدَّ الشياطين، ومع الإشارة الثانية كانوا يطيرون في الهواء، وكأنهم مجموعة من الأسهم انطلقت من نباتها، ودون أن يتوقَّع رجال العصابة، كان الشياطين ينزلون كالصاعقة فوق رءوسهم، كانوا ستة؛ ولذلك انفرد «أحمد» باثنين معًا، فضرب الاثنين في لحظةٍ واحدة، في نفس الوقت الذي فعل فيه «قيس» نفس الشيء، بينما انفردت «زبيدة» بواحد، وانفرد «رشيد» بالآخَر. في لحظةٍ واحدة، كان الرجال الستة قد سقطوا على الأرض، لكن سقوطهم لم يكن نهاية المعركة، فقد كان بدايتها، ففي لمح البصر، كانوا قد استعادوا أنفسهم، وبدأ اشتباك عنيف بينهم وبين الشياطين، كان واضحًا منذ البداية أن الشياطين قد سيطروا على الموقف، لكن أحد رجال العصابة، قد استطاع أن يخدع الشياطين، فاستلقى على الأرض إثر ضربةٍ من «رشيد»، وعندما استدار «رشيد» ليشتبك مع آخَر، كان الرجل قد سحب مسدسًا سريع الطلقات.

غير أن الشياطين لا تضيع منهم فرصة، ففي نفس اللحظة التي كانت إصبعه تضغط على الزناد، كانت طلقة سريعة بلا صوت، قد خرجت من أحد المسدسات، لتصيب يده فيطير منها المسدس، كان «مصباح» و«بو عمير» قد وصلا في اللحظة المناسبة، بعد أن انتهيا من معركتهما السريعة كما قال الشياطين.

وبعينٍ ذكية، استطاع «مصباح» أن يلمح حركة الرجل الملقى على الأرض وهو يتحرَّك، فأسرع بإخراج مسدسه، وأطلق الطلقة القاتلة. كان الشياطين لا يعرفون ما حدث، فقد كانوا لا يزالون في معركتهم، وعندما انضم «مصباح» و«بو عمير» إليهم، أصبح الموقف كله في أيديهم، فلم تنقضِ ربع ساعة، حتى كان الرجال قد استسلموا، فقد عرفوا أنهم أمام خصمٍ قوي، وقف الشياطين أمامهم في حالة تحفُّز، بينما كان الرجال بعضهم جالسًا على الأرض، والآخَر يستند إلى شجرة. وفي هدوءٍ تقدَّمَ «مصباح» و«قيس»، وربطوهم في حبلٍ طويل، وكأنهم عقد من البشر، فهم بهذا الشكل لا يستطيعون أن يتحركوا إلا معًا، فإذا اختلفت حركة واحدة منهم أوقع بالآخَرين، وبعيدًا عن المكان ساقوهم حتى شجرة حور ضخمة فربطوهم حولها، كانت وجوه الرجال تلامس جذع الشجرة، في نفس الوقت الذي كانت ظهورهم إلى الشياطين، دار «مصباح» و«قيس» و«بو عمير» يكمِّمونهم، حتى لا يستطيعوا النطق، همس «أحمد» بلغة الشياطين: إن علينا أن نصل إلى مقرهم!

قال «بو عمير»: لا أظن أن مقرهم سوف يكون في الغابة، فالمؤكَّد أنه في أي مكانٍ خارجها، وربما يكون في دولةٍ أخرى غير سويسرا!

قالت «زبيدة»: هذا جائزٌ فعلًا، لكن أقترح أن نقوم بحركةٍ تكشفُ مقرَّ قيادة الحراسة في الغابة أو مركزهم داخل سويسرا! كانت فكرة «زبيدة» جيدة؛ ولذلك فقد وافق الشياطين عليها … أكملت «زبيدة»: أقترح أن نرسل رسالةً إلى عميل رقم «صفر» في ألمانيا مثلًا، نقول فيها: إن تجمع الرجال سوف يكون عند حافة الغابة مثلًا، ونحدِّد أحد الاتجاهات. إن الرسالة مبهمة، فلا أحدٌ يعرف مَن هم هؤلاء الرجال … سكت لحظة، بينما كان الشياطين ينصتون إليها باهتمام، أكملت: سوف نكون نحن في نقطةٍ قريبة من المكان، تسمح لنا بمراقبتهم في هذه الحالة … ولم تكمل زبيدة كلامها، فقد غمر المكان ضوء قوي، جعله كالنهار. توقف الشياطين في أماكنهم لحظةً، فقد فاجأهم الضوء، لكن اللحظة لم تطُل، فقد أخرج «مصباح» مسدسه في سرعةٍ، وسدَّد طلقةً سريعة إلى مصدر الضوء، الذي انطفأ قبل أن تصل إليه، شمل المكان صمت موحش، ولفَّ الظلام كل شيء من جديد، مرَّت لحظات بلا حركة ولا صوت … كان الشياطين خلالها يفكِّرون: إن العصابة تستخدم معهم العامل النفسي، حتى ينهاروا أو يستسلموا؛ ولذلك يجعلون هذه اللحظة تطول … لكنها كانت فرصة، حتى يجدوا مخرجًا من موقفهم، همس «أحمد»: فلنتحرك إلى النقطة «ك»، كلٌّ بطريقته … تحركوا بسرعةٍ مبتعدين عن المكان، كان كل اثنين معًا، مرة أخرى لمع الضوء فغطى المكان، جمد الشياطين في أماكنهم، كانوا لا يزالون قريبين من بعضهم، همس «أحمد»: لا تتفرَّقوا، إنهم يعدُّون لنا معركة … ولو تفرَّقْنا فسوف نخسر المعركة كلها.

تجمَّع الشياطين مرةً أخرى بسرعة، ظلَّ الضوء مستمرًّا يغمر المكان، دون أن يصدر صوتًا، كانت لحظات حادة تمامًا، ولم تكن حركة الشياطين تعني شيئًا؛ لأنها حركة مكشوفة، كذلك فإن أي محاولة لإسكات الضوء سوف تكون بلا نتيجة، فيبدو أن مصدر الضوء ليس مجرد كشاف قوي، فيبدو أنه يصدر عن أجهزة متقدِّمة للغاية. ظلَّ الشياطين في أماكنهم، ونظر «أحمد» حوله في المكان فجأة، صرخ صرخة مكتومة، لا يسمعها أحد سوى الشياطين: «احذروا» … تلفَّت الشياطين حولهم، إلا أن «أحمد» أضاف: أعلى!

تعلَّقَت أعينهم بالمكان الذي أشار إليه، وظهر على وجوههم نوع من الحذر والتفكير العميق … كانت أسلاك خضراء اللون لا تكاد تظهر، فهي تبدو كأغصان الأشجار، كانت تنزل في هدوء، في اتجاه الشياطين.

همس «أحمد»: إنها مصائد لاصطيادنا.

ظلَّت الأسلاك تقترب من الشياطين، فتحركوا من أماكنهم مبتعدين عنها، كانت الأضواء تمشي وراءهم وكأنها مصائد أخرى، أيقن الشياطين أنهم أمام صِدام علمي أكثر

منه صِدامًا بشريًّا يعتمد على العضلات؛ ولذلك فقد كان تفكيرهم يتغيَّر بالتالي، إنهم يحملون أحدث الأجهزة وأدقها، ولا يمكن أن تكون لدى العصابة أجهزة بهذه الدقة، همس «أحمد»: إن علينا أن نستخدم عقولنا الآن، وليس سواعدنا.

فكَّر لحظة، ونظر حوله نظرة سريعة، كانت بجواره شجرة ضخمة، فكَّر أن يقترب منها، لكنه خشي أن تكون مجهزة تجهيزًا خاصًّا يمكن أن يقع فيه، همس: قنابل الدخان الأسود ... في حذرٍ كانت أيدي الشياطين تمتد إلى حقائبهم السرية، وفي لمح البصر، كانت قنابل الدخان الأسود، التي لا تزيد الواحدة على حجم البلية الصغيرة تخرج من الحقائب، ثم تنساب إلى حيث يقف الشياطين، في شبه كتلة، مرَّت لحظات ثم بدأ الدخان يظهر، غطَّى أرض المكان الذي يقفون فيه، ثم أخذ يتصاعد في بطء، ليغطِّي أقدامهم، ثم تزداد سرعته ليصنع دائرة واسعة من الظلام، كان الشياطين يقفون داخل الدخان، وقد وضعوا على أنوفهم وأفواههم أجهزة خاصة، حتى لا يصابوا بالاختناق، تحركوا في هدوء داخل دائرة الدخان، التي أخذت تصنع جدارًا من الظلمة بين الشياطين ورجال العصابة، ولم تكن دائرة الدخان محدَّدة المساحة، فقد ظلَّت تتسع شيئًا فشيئًا، في نفس الوقت كانوا يغذونها بمزيدٍ من القنابل، حتى يستمر انتشارها، وحتى يظلوا داخل الظلام، فلا يرى حركتهم أحد.

همس «أحمد»: إننا نقترب من حافة الغابة، وينبغي أن نخرج منها ... قال «بو عمير»: إننا بهذا نعطيهم فرصة السيطرة علينا ... أضاف «مصباح»: هذا صحيح ... فالمؤكَّد أنهم يحاصرون الغابة تمامًا، بعد أن اكتشفنا سرهم، ولن يتركونا نمضي في سلام ... مرَّت لحظة صمت، قال «رشيد» بعدها: إنني أتصوَّر أن نصطدم بهم فذلك هو الحل الأمثل ... سكتوا مرة أخرى، فقال «أحمد»: إذَن سوف نصارعهم، حتى نتبين إلى أي مدى سوف يكون الصراع.

قالت «زبيدة»: هل نرسل إلى رقم «صفر»؟ أسرع «أحمد» يقول: إن هذا شيء آخَر يمكن أن نلجأ إليه ... وما إن انتهى من جملته حتى علَت الدهشة وجوه الجميع: لقد كان الدخان ينقشع، ويقف الشياطين مرةً أخرى وسط الأضواء الساطعة.

الخطأ الذي وقعت فيه العصابة!

وقف الشياطين وسط الضوء الساطع، ورغم أن الموقف كان يبدو صعبًا، إلا أن ذلك لم يكن يجعلهم يتردَّدون أو يخافون، فبعد لحظةٍ قال «بو عمير»: جهاز الأشعة الموجَّه، إنه يمكن أن يشل أي حركة حولنا، ويمكن أن يسكت هذا الضوء الذي يكشفنا! أسرع «مصباح» فأخرج جهاز الأشعة الصغير، ثم وجَّهَه في حرصٍ تجاه مصدر الضوء، وضغط زرًّا صغيرًا فيه، انطلقت الأشعة السرية، والتي لا يراها أحد. وفي أقل من ثانيتين، كان الضوء قد انسحب، وغرقت الغابة في الظلام، همس «أحمد»: الآن، ينبغي أن نصل إلى الشجرة الغريبة، حتى يمكن أن ننسفها، ويتوقف كل شيء ... سكت لحظة، ثم أضاف: لقد فكرت أن نستولي عليها، فالمؤكد أنها سوف تضيف إلينا إمكانياتٍ جديدة. لكن يبدو أننا لن نستطيع ذلك!

قالت «زبيدة»: فلنحاول أولًا، فإذا فشلنا، فسوف يمكن أن ننسفها، وهذه مسألة ليست صعبة. تحرك الشياطين في اتجاه الشجرة، لكن مرةً أخرى، ظهر الضوء من جديد، كان ضوء أكثر قوة، ومن جديدٍ أيضًا استخدم «مصباح» جهاز الأشعة السرية، في لمح البصر كان الضوء قد اختفى، همس «قيس»: يبدو أن هذه نهاية قدرتهم ... استمرَّ الشياطين في تقدُّمهم تجاه الشجرة، التي لم تكن تبعد كثيرًا الآن، لكن فجأة؛ لمع ضوء قوي في الظلام، فألقى الشياطين أنفسهم على الأرض، وقريبًا من «بو عمير»، استقرَّت طلقة بلا صوت، فقال: إنهم يستخدمون أسلحة بلا صوت، وهذه مسألة ينبغي أن نحذرها جيدًا!

قال «أحمد»: فلنتقدم زحفًا في اتجاه الشجرة! زحف الشياطين في حذر، غير أن الطلقات توالت حولهم، فهمس «أحمد»: سوف نغيِّر الاتجاه بعيدًا عن الطلقات، وندور نصف دورة حول الشجرة حتى نصل إليها من جانب آخَر، غيَّر الشياطين اتجاههم مبتعدين عن الشجرة، وإن كانوا يدورون حولها، توقفوا يستمعون إلى أي صوت، كان

كل شيء هادئًا، همس «رشيد»: أظن أنهم يتصوروننا في مكانٍ ما، ولا بد أن يكون بجوار الشجرة الغريبة ... مرَّت لحظة، قبل أن يقول «أحمد» سوف أتقدَّم أنا و«بو عمير» في مهمةٍ استطلاعية، قريبًا من الشجرة، لنرى ما حدث، إن الوقت الذي يمرُّ ليس في صالحنا ... سكت لحظة، ثم أضاف: لا تتركوا المكان إلا للضرورة، وراقبوا الدائرة التي تتحرك فيها، وكونوا مستعدين لأي إشارة، فقد ندخل معركة مفاجئة!

أشار إلى «بو عمير»، ثم تقدَّما زحفًا في اتجاه الشجرة، لم يكن هناك صوت، وكان هذا يعني أن هناك خطة مضادة، توقَّفا قليلًا، ثم أخرج «أحمد» جهاز الكشف الصغير الذي يحمله، ثم وجَّهَه إلى نقطة أمامه مباشرة، وضغط زر الجهاز، وهو ينظر إلى المؤشر، كان المؤشر ثابتًا، حرك الجهاز في بطء بداية من النقطة التي حدَّدَها، ومرورًا بشكل نصف دائرة ١٨٠، عند الدرجة ٤٥ تحرَّك المؤشر، أوقف «أحمد» يده عند الدرجة ٤٥ وانتظر، ظلَّ المؤشر ثابتًا عند النقطة التي تحرَّك بها، فهمس: هناك البعض في هذا الاتجاه، حرَّك الجهاز مرة أخرى إلى الدرجة ٦٠، فعاد المؤشر، بما يعني أنه لا يوجد أحد عند هذه الدرجة، استمرَّ في تحريك الجهاز فتجاوز الدرجة ٦٠ إلى ٧٠ ثم إلى ٨٠، غير أن المؤشر لم يتحرَّك، وعند الدرجة ٩٠، تحرَّك المؤشر من جديد، قال «أحمد»: توجد هنا مجموعة أخرى ... حرَّك الجهاز من جديد، فتراجع المؤشر، ولم يتحرك إلا عند الدرجة ١٥٠، ثم تراجع مرة أخرى عند الدرجة ١٨٠، قال «أحمد»: إن هناك أربع مجموعات موزَّعة في أربع نقط، هي تقريبًا على مسافاتٍ متساوية، قال «بو عمير»: إننا نستطيع أن نخترق الحصار بين هذه المسافات ... وهي مسافات تكفي لأن نتحرك إلى حيث توجد الشجرة ... لم يرد «أحمد» مباشرة، فقد انتظر قليلًا، ثم قال: سوف نجري هذه التجربة، لنرى إن كانوا يستخدمون أجهزة الكشف التي لديهم أم لا، وضع الجهاز في حقيبته السحرية، ثم أشار إلى «بو عمير»، كانا يتحركان على زاوية بين ٤٥ و٩٠، تقدما مسافةً لا بأس بها، حتى قال «أحمد»: إن الشجرة أمامنا مباشرة الآن، ويمكن أن تقيم حولها حزامًا ناسفًا، استعدادًا لأي طارئ ... وما كاد ينتهي من جملته حتى كانت طلقات الرصاص تنهمر كالمطر، تراجعا في هدوء، حتى توقفا عند ساق شجرة ضخمة، همس «أحمد»: يبدو أنهم يستخدمون أجهزة الكشف الآن، صمت لحظة ثم قال: إننا نستطيع أن نوقف عمل هذه الأجهزة، وهذا سوف يدفعنا إلى معركةٍ مباشرة، وهذه المعركة نحتاجها! أخرج جهاز الأشعة الموجَّهة، ثم سلَّطَه في اتجاه مصدر النيران، وتحرك هو و«بو عمير» في نفس الوقت، ظلَّت طلقات الرصاص، تنهمر في نفس المكان الذي غادراه، فقال «بو عمير»: لقد اختلفت أجهزة الكشف عندهم بتأثير الأشعة الموجهة!

لكن مرة أخرى، عادت طلقات الرصاص وقد انهمرت بجوارهم، مع استمرار الطلقات السابقة على نفس المكان القديم، قال «أحمد»: هناك جهاز آخَر يعمل في منطقةٍ جديدة! صمت قليلًا ثم أضاف: إننا يمكن أن نوقف جميع أجهزتهم التي تعمل، لكن طلقات الرصاص في النهاية سوف تغطي الدائرة كلها التي تتحرك فيها! سكت من جديد، كان يفكِّر في طريقة تنهي الموقف كله، قال: ما رأيك لو استخدمنا الشجر في الوصول إليهم؟ إننا نستطيع أن نهبط عليهم دون أن يشعروا، فنبدأ معركة مباشرة في أي نقطةٍ من النقط! وفي خفةٍ تسلَّقا شجرة، كانت أغصان الأشجار متشابكة، وكأنها تصنع خيمة كبيرة، وكان هذا يعطيهما الفرصة حتى يستطيعا التنقل من شجرةٍ إلى أخرى في سهولة، وعلى هذا فقد أخذا يتنقلان من غصنٍ إلى غصن، في اتجاه المجموعة التي تتوسط المنطقة، والتي تقف عند الدرجة ٩٠، كانت طلقات الرصاص لا تزال تتردَّد، في نفس الاتجاهات القديمة، التي كانا فيها، وكان هذا يعطيهما الفرصة حتى يصلا إلى النقطة ٩٠، دون أن يلفتا نظر أحد، فقد كانت كل مجموعة تظن أنها تطلق رصاصها في الاتجاه الصحيح، توقفا لحظة، بعد أن شعرا بالإجهاد. في نفس الوقت أرسل «أحمد» رسالة سريعة إلى الشياطين، يحدِّد لهم ما حدث، ويطلب منهم أن يكونوا على استعدادٍ للتحرُّك، فسوف يكون الاشتباك وشيكًا، ارتاحا بما يكفي لأن يستمرا في القفز من غصنٍ إلى غصنٍ بمهارةٍ فائقة، ودون صوت حتى لا يلفتا سمع أحد، ففي هذا الوقت من الليل لا يوجد طائرٌ يمكن أن يهز أي غصن، بجوار أنه لا يوجد في مثل هذه الغابات أي نوع من الحيوانات، إلا إذا كانت كلاب ضالة، وهي عادةً لا تتوقف عن النباح أمام أي صوت، بجوار أن أصوات الطلقات كانت تخفي ما يمكن أن يصدر من صوتٍ هادئ، وصلا إلى النقطة المطلوبة، لم يكن هناك صوت يصدر من أي جهة، أخرج «أحمد» جهاز الأشعة الموجَّهة، وضغط زرًّا يُصدر أشعة فوق البنفسجية، التي تكشف أي شيء، دون أن يراها أحد، ورأى «أحمد» و«بو عمير» خمسة رجال يمسك كلٌّ منهم بمسدس، وقد وقفوا في حالة تحفز، نظر «أحمد» إلى «بو عمير» ثم مدَّ يده، وأمسك بيده، وعن طريق اللمس أخذ يتحدَّث إليه، قال «أحمد»: هل نبدأ المعركة، أو نرسل إلى الشياطين حتى ينضموا إلينا؟ وبنفس طريقة اللمس، قال «بو عمير»: إنهم سوف يستغرقون وقتًا نحن نحتاجه، أقترح أن نرسل إليهم في نفس الوقت الذي نبدأ فيه المعركة. وافق «أحمد» على اقتراح «بو عمير»، وبسرعةٍ أرسل إلى الشياطين يشرح لهم ما سيقومون به، ويطلب إليهم الانضمام إلى النقطة ٩٠ ... انتهت الرسالة، فنظر «بو عمير» الذي رفع يده، يطلب منه الانتظار، مدَّ يده وتحدث بطريقة اللمس: أقترح أن نستخدم الإبر المخدرة بدلًا من الدخول في صراعٍ مباشر!

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم قال: لاحظ أننا نقع في دائرة كشف الأجهزة، وسوف نكون وحدنا أمام الرصاص، لكننا لو اشتبكنا، فسوف يتوقف الرصاص، وتكون معركة بالأيدي!

وافق «بو عمير» على وجهة نظر «أحمد»، الذي أضاف بعد لحظة: أقترح أن نرسل إلى رقم «صفر» الآن، فنحن في مرحلتنا النهائية من المغامرة، وسوف تكون الرسالة نوعًا من الاستعداد، إذا حدث ما لم يخطر لنا ببالٍ، خصوصًا ونحن أمام عصابة تستخدم أرقى الأجهزة الإلكترونية!

وافق «بو عمير» على رأي «أحمد» الذي أخذ يرسل رسالة سريعة إلى رقم «صفر» يحدِّد فيها كل شيء، وختمها: نحن في المرحلة النهائية ... عندما انتهت الرسالة لمس «بو عمير» لمسة إشارة، فاستعدا معًا، كان الرجال يقفون في صف واحد، وكان هذا يعني، أن ضربهم في لحظةٍ واحدة يمكن أن يوقع بهم جميعًا؛ ولذلك فقد كانت قفزة الاثنين، تغطي طابور رجال العصابة، كان كلٌّ منهم يفتح رجلَيه، ليضرب اثنين من الرجال في وقتٍ واحد، وهذا ما حدث فعلًا، ضرب «أحمد» اثنين، وضرب «بو عمير» اثنين، وبقي الرجل الذي يقف في الوسط، غير أن ضرب الأربعة أسقط الخامس معهم، دخل «أحمد» و«بو عمير» في معركةٍ رهيبة، دار «أحمد» حول نفسه وهو يضرب أحدهم، بينما قدمه تضرب الآخَر، بينما كان «بو عمير» قد أمسك أحد الرجال من ذراعَيه، ثم طوَّح به بقوةٍ فاصطدم بالآخرين، إلا أن أحد الرجلين المشتبكين مع «أحمد»، استطاع أن يتلقى منه ضربة مستقيمة، فيهرب منها، ويضرب «أحمد» بقدمه في قوةٍ، جعلت «أحمد» يطير في الهواء، ثم يصطدم بساق شجرة، شعر بدوارٍ سريع، لكنه كان يتمالك نفسه، فقد لحق به الرجل، وقبل أن يسدِّد لَكْمته إليه، كان «أحمد» قد جلس على الأرض، فاصطدمت يد الرجل بساق الشجرة في قوةٍ جعلته يصرخ، إلا أنه في نفس اللحظة، ضغط على شيءٍ فيها، فتردَّد صوت يشبه الصراخ، وكأنه استغاثة، فَهِم «أحمد» بسرعةٍ أن هذه دعوة لبقية رجال العصابة.

نظر «أحمد» حوله فرأى ما جعله يبتسم ابتسامة سريعة، لقد كان الشياطين قد انضموا إليهما واشتبكوا مع الرجال، رأى «زبيدة» تضرب رجلًا ضربة خطَّافية، جعلته يطير في الهواء، ثم تلاحقه قبل أن يصل إلى الأرض، لتسدِّد له لكمة مستقيمة جعلته يصرخ، بينما كان بقية الشياطين قد أنهوا المعركة في دقائق. لكن نهاية هذه المعركة لم يكن إلا بداية معركة أخرى ... فقد ظهر رجال العصابة، وكأن أرض الغابة قد أخرجتهم فجأةً، كان عددهم كبيرًا، فوقفوا في شبه دائرة حول الشياطين، إلا أن الدقائق لم تمُرَّ، ففجأة غطى الغابة ضوء قوي، جعل الجميع يخفون أعينهم لشدته، في الوقت الذي تردَّد فيه

صوت من خلال ميكروفون يقول: ألقوا أسلحتكم، إن الأماكن كلها محاصرة! نظر رجال العصابة في دهشةٍ حولهم! بينما تقدَّم أحد رجال الشرطة السويسريين، نظر إلى الشياطين في ابتسامةٍ، وهو يقول:

«إن الحكومة السويسرية توجِّه لكم الشكر، فقد قدَّمتم لها، وللعالم كله، عملًا لا يُنسى»، في نفس الوقت، كان رجال الشرطة الذين ملئوا الغابة كلها، قد بدءوا يجمعون السلاح من رجال العصابة، تقدَّم عدد من الرجال يلبسون الملابس المدنية، وتبدو عليهم الجدية الشديدة، قال واحد منهم: أين الشجرة التي تتحدثون عنها؟

قال ضابط الشرطة مبتسمًا: الدكتور «فالدكوتني» عالم الزراعة ... ابتسم «أحمد» وتقدَّم للدكتور، فحيَّاه ثم صحبه في اتجاه الشجرة التي لم تكن تبعد كثيرًا، هتف الدكتور «فالد»: أوه، إنها شجرة البلوط! كيف تنبت في هذا المكان وبين أشجار الحور؟! في نفس الوقت، تقدَّم آخَر، قال عنه ضابط الشرطة: الدكتور «موسكاف» عالم الإلكترونيات، تقدَّم «موسكاف» من شجرة البلوط، وأخذ يتسمَّع ما يصدر عنها، ثم أشار إلى مساعديه، فأمسك أحدهم ببلطةٍ متوسطة الحجم، ثم بدأ يضرب ساق الشجرة في حذر، فجأة؛ سقط جزءٌ كبير من الساق! وظهر عالم غريب، لقد كانت ساق الشجرة مفرغة تمامًا! وقد وضعت فيها أجهزة غاية في الدقة، ظهرت الدهشة على الجميع، بينما قال الدكتور «موسكاف»: إنها عمل جهنمي، مَن يستطيع أن يفعل ذلك؟! اقترب ضابط الشرطة من الشياطين وهو يقول: لقد أخطئوا خطأً واحدًا، فقد وضعوا شجرة البلوط بين أشجار الحور، ولو أنهم لم يقعوا في هذا الخطأ، ما استطاع أحد أن يتوصَّل إلى شيء!

كان الشياطين ينظرون بدهشةٍ إلى شجرة البلوط الغريبة، التي تمثِّل غرفة عمليات مجهزة تجهيزًا كاملًا! غير أن وقوفهم عند الشجرة لم يطُل، فقد كانت هناك رسالة من رقم «صفر» استقبلها «أحمد»، كانت الرسالة تقول: تهنئتي، لقد حقَّقتم عملًا عظيمًا! إلى اللقاء! وفي هدوءٍ أخذ الشياطين طريقهم إلى خارج الغابة، فقد كانت المغامرة مثيرة تمامًا، ربما أكثر من أي مغامرةٍ سابقة! لكنهم في نفس الوقت كانوا يتساءلون: «هل هناك مغامرة أخرى؟»

هنـــداوي